الدين الطبيعي بين جون لوك وفولتير
دراسة تحليلية نقدية

د/ رأفت محمد صبري عبدربه عبدالوهاب
مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

ملخص البحث

الدين الطبيعي بين جون لوك وفولتير دراسة تحليلية نقدية

د/رأفت محمد صبري عبدربه عبدالوهاب.
جامعة الأزهر- كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية.
البريد الإلكتروني: ova٢٠٠٨٢٠٠٢@gmail.com

الملخص:

الدين الطبيعي ظهر كدين للفلاسفة، وهو من المصطلحات التي تتعلق بفلسفة الدين، وأصحاب هذا الدين يجمعهم التسليم بوجود الله مع التمرد على الكنيسة، وكان هدفهم الإصلاح في المجالات الدينية والاجتماعية والسياسية.

وهنا يطرح سؤالاً وهو: إذا كان القائلون بالدين الطبيعي – ومنهم جون لوك وفولتير– يؤمنون بوجود الله تعالى فما أدلتهم على وجوده؟ وما موقفهم من الوحي والمعجزة؟ وبالتالي موقفهم من النبوة؟ وهل يعد هؤلاء من الملحدين؟ وقد أجبت في بحثي هذا عن بعض جوانب هذه الأسئلة فيما يتعلق بجون لوك وفولتير خاصَة.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج التحليلي النقدي، ووظيفة الاستقراء من خلال التتبع والجمع، وكذلك المنهج التاريخي.

وقسمته إلى: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمـة: فذكرت فيها نبذة عن الموضوع، وأهميته، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وإشكالية البحث، والمنهج المتبع فيه، وما اشتمل عليه البحث.

وأما التمهيد فتحدثت فيه عن: مفهوم الدين الطبيعي من خلال الكتب والمعاجم الفلسفية.

المبحث الأول: موقف جون لوك من الدين الطبيعي.

المبحث الثاني: موقف فولتير من الدين الطبيعي.

المبحث الثالث: فخصصته لنقد الديانة الطبيعية بصفة عامة.

وأما الخاتمة: وتشتمل علي أهم التوصيات والنتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، التي من أهمها:

١- أن جون لوك من القائلين بالدين الطبيعي، وقد استدل على وجود الله تعالى وأقام الحجة البرهانية على وجوده؛ ومع ذلك فهو أيضاً يؤمن بالوحي وأهميته لكنه يخضعه للعقل، مؤكداً أنه لا يمكن أن يكون هناك وحي يناقض العقل وإلا لم يكن وحياً، رافضاً سلطة الكنيسة الدينية.

٢- وقد تأثر به فولتير وهو من القائلين بالدين الطبيعي، وقد أثبت وجود الله تعالى لكنه أنكر الوحي إنكاراً تاماً، وقد هاجم الكتاب المقدس بعهديه: القديم والجديد، وأكد أنه يستحيل أن يكون من عند الله؛ لأنه مناقض للعقل.

٣- أن الدين الطبيعي كان من أهم نتائجه انتشار موجة من الإلحاد في أوربا وخاصة في فرنسا وإنجلترا موطن فولتير وجون لوك.

الكلمات المفتاحية: الدين الطبيعي، جون لوك، فولتير، وجود الله، الوحي والمعجزة.

through philosophical books and dictionaries. Section One: John Locke's position on natural religion. Section Two: Voltaire's position on natural religion. Section Three: I dedicated it to criticizing natural religion in general. As for the conclusion: it includes the most important recommendations and findings I reached through the research, the most important of which are: ١- John Locke is among those who advocate natural religion, and he argued for the existence of God and established a rational proof for it; nevertheless, he also believes in revelation and its importance, but he subjects it to reason, emphasizing that there cannot be a revelation that contradicts reason, otherwise it would not be a revelation, rejecting the authority of the religious church. ٢- Voltaire was influenced by him and is also among those who advocate natural religion; he affirmed the existence of God but completely denied revelation, attacking the Bible in both its Old and New Testaments, asserting that it is impossible for it to be from God because it contradicts reason. ٣- Natural religion was one of the main results that led to a wave of atheism in Europe, especially in France and England, the homeland of Voltaire and John Locke.

Keywords: natural religion, John Locke, Voltaire, existence of God, revelation and miracle.

Research summary

Natural Religion Between John Locke and VoltaireA Critical Analytical Study

Dr: Raaft Muhammad Sabri Abdurrahman Abulwahab.

Al-Azhar University - Faculty of Theology and Call in Menoufia.

Email: ova٢٠٠٨٢٠٠٢@ azhar.edu.eg

Abstract:

Natural religion emerged as a philosopher's religion, and it is one of the terms related to the philosophy of religion. The followers of this religion share the belief in the existence of God while rebelling against the church, and their goal was reform in the religious, social, and political domains.

Here, a question arises: If those who advocate natural religion – including John Locke and Voltaire – believe in the existence of God, what are their arguments for His existence? What is their position on revelation and miracles? And consequently, what is their stance on prophecy? Are these individuals considered atheists? In this research, I addressed some aspects of these questions specifically concerning John Locke and Voltaire. I relied on the critical analytical approach, the function of induction through tracking and gathering, as well as the historical method. I divided it into: an introduction, a preface, three sections, and a conclusion. In the introduction, I provided a brief overview of the topic, its importance, reasons for its selection, previous studies, the research problem, the methodology used, and what the research entails.

As for the introduction, I discussed the concept of natural religion

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه،

وبعد؛

فإن موضوع الدين الطبيعي من الموضوعات المهمة التي تتعلق بفلسفة الدين بصفة عامة، حيث يتعلق هذا الموضوع بتيار قديم ظهر في مفهومه وفي مواضيعه الرئيسة في وسط رواقي كردٍّ على نزاعات المدارس الفلسفية حول طبيعية الآلهة، ثم انبثق من جديد في القرون الوسطى لدى " أبيلار"[١] في النقاش بين اليهودية والمسيحية والفلسفة، إلا أن عودته الحقيقية إلى مسرح

---

(١) أبيلارد، بيير: ولد في باليه قرب نانت (فرنسا) سنة ١٠٧٩، ومات في دير سان – مرسيل قرب شالون – سور – سون في ٢١ نيسان ١١٤٢، واحد من أكبر الفلاسفة واللاهوتيين في القرن الثاني عشر. دَرَسَ على التوالي في شارتر. ولوش . واخيراً في باريس حيث حمله ذكاؤه الباهر وكبرياؤه الجامعة على الوقوف موقف المعارضة العنيفة، في خصومة الكليات القديمة، ضد معلمه للجدل ثم للخطابة، غليوم دي شامبو الذي كان نصيراً للواقعية. وقد حامى أبيلار عن نزعة اسمية مشتقة من روسلان، وانتصر عليه. وقد حارب بالحدة نفسها أنسلم الشهير، معلمه للاهوت. وما كان يجاوز الثالثة والعشرين من العمر عندما صارت له مدرسته الخاصة في ميلون.

أصاب شهرة واسعة، وصار التلاميذ يهرعون إلى دروسه من كل بلاد الغرب. .. وقد عاد عليه صراعه ضد روسلان ، ومحاولاته تطبيق الجدل على اللاهوت . بإدانة أولى من قبل مجمع سواسون (١١٢١) الذي أمر بإحراق رسالته في الوحدة وفي الثالوث الإلهي.

له مؤلفات كثيرة منها: " المع والضد" عرض فيها تناقضات الكتاب المقدس، و " اللاهوت المسيحي"، و " المدخل إلى اللاهوت"، و "اعرف نفسك بنفسك" أو "الأخلاق" وهو خاص بالقيم الأخلاقية وتحليلها، و " قصة فاجعة أبيلار" تحدث فيها عن حياته. ينظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابشي، صـ ٤٦ بتصرف، دار الطليعة– بيروت ط: الثالثة، ٢٠٠٦م.

الفلسفة تعود إلى نقاشات الإصلاح في القرنين السابع عشر والثامن عشر، ثم تلاحقت حركته حتى القرن التاسع عشر فظهر كدين للفلاسفة(١).

ومصطلح الدين الطبيعي هو مصطلح قديم في الفلسفة، وليس بالضرورة أن يكون مفهوم هذا المصطلح قديماً هو نفسه المفهوم منه في القرن الثامن عشر أو التاسع عشر، إلا أنه مصطلح استخدم في الجدال بين الدين والتفلسف.

والدين الطبيعي يرتكز على العقل كمصدر ومعيار معرفة، فهو يدل على الدين الذي مر بغربال العقل ففسره وبرره.

وقد أطلق على هذا الدين دين الفلاسفة؛ لكونه يعتمد على العقل اعتماداً كلياً في كل اعتقاد، وقد ظهر لهذا الدين في القرن الثامن عشر تياران:

الأول: تيار المحافظين الذين يؤمنون بالله تعالي، ويؤمنون بالديانة الطبيعية أو ديانة العقل، ومع ذلك لا ينكرون الوحي بأي حال من الأحوال.

الثاني: تيار المجددين الذين يؤمنون بالله تعالي ويؤمنون بالديانة الطبيعية أو ديانة العقل ولكنهم ينكرون أي قيمة أو حاجة للوحي الإلهي.

وقد كان لهذين التيارين على اختلافهما في الوحي دورٌ كبيرٌ وأثرٌ في ظهور موجة إلحادية في أوربا – وخاصة في إنجلترا وفرنسا– في القرن الثامن عشر– بسبب دور كل منهما في مهاجمة الوحي والمعجزة.

ولأهمية هذا الموضوع فإني في هذه الدراسة سأتناول موضوع الدين الطبيعي بين فيلسوفين من رواد وأعلام الفلسفة الحديثة القائلين بهذا الدين، أحدهما في إنجلترا وهو جون لوك، والآخر في فرنسا وهو فولتير، وقد تأثر اللاحق منهما

---

(١) الدين الطبيعي، جاكلين لاغريه، صـ ٥-٦ بتصرف، ترجمة منصور القاضي، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط: الأولي،١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

بالسابق، وستكون هذه الدراسة تحت عنوان: " الدين الطبيعي بين جون لوك وفولتير، دراسة تحليلية نقدية".

أسباب اختيار الموضوع:

١- بيان موقف جون لوك وفولتير من الديانة الطبيعية من حيث إثباتهم لوجود الله تعالى وموقفهم من الوحي الإلهي والمعجزات.

٢- بيان نقد جون لوك وفولتير لليهودية والمسيحية.

٣- بيان أثر إقحام العقل في كل مسائل الدين لدى فلاسفة العصر الحديث.

٤- بيان أثر موقف جون لوك في فلسفة فولتير في مسألة الدين الطبيعي؛ فالأول قال بالديانة الطبيعية ولكنه حافظ على الإيمان بالوحي، والثاني قال بالديانة الطبيعية وأنكر الوحي وهاجمه هجوماً شديداً، وذلك مع تأثر الثاني بالأول.

٥- بيان أثر الدين الطبيعي في انتشار المادية والإلحاد في أوربا الحديثة.

الدراسات السابقة:

على الرغم من اهتمام الباحثين بفلسفة الدين وكثرة البحث حولها إلا أن موضوع الدين الطبيعي لم يلق الاهتمام الكافي بالبحث والمناقشة وخاصة من الباحثين العرب.

وبعد البحث الدقيق من خلال الشبكة العنكبوتية عن الأبحاث المتعلقة بموضع الدين الطبيعي؛ فقد وجدت بعض الأبحاث التي تتعلق بالدين الطبيعي وهي:

- " الدين الطبيعي بوصفه غاية أخلاقية عند جول سيمون"، للدكتورين: غيضان السيد علي عبدالمجيد، أستاذ العقيدة والفلسفة المعاصرة المساعد بكلية الآداب جامعة بني سويف؛ وعلي محمد عليان عبدالرازق

الخطيب، أستاذ العقيدة والفلسفة المعاصرة المساعد بكلية الآداب جامعة المنيا، تناول فيه الباحثان موقف جول سيمون من الدين الطبيعي ودفاعه عنه، وقد نشر هذا البحث في مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، في ٥٦ صفحة، العدد (٢٩) يونيو ٢٠٢٣م، من صـ ٣٦٧- ٤٢٢.

- " الدين الطبيعي عند الفلاسفة: " دراسة تحليلية"، للدكتور: عبدالقادر محمد الغامدي، أستاذ العقيدة – كلية العلوم والآداب جامعة الباحة المملكة العربية السعودية، تناول فيه الباحث فكرة الدين الطبيعي ونقدها في ضوء الكتاب والسنة النبوية، ونقل كلام الناقدين لها من الغربيين والإسلاميين، وقد نشر البحث في مجلة القلزم للدراسات الإسلامية مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر وجامعة كسلا، في ٢٠ صفحة، العدد الرابع عشر، شعبان –رمضان ١٤٤٥هـ- مارس، ٢٠٢٤م.

- ووجد أيضاً كتاب " الدين الطبيعي" لجاكلين لاغريه، ترجمه للعربية منصور القاضي، ونشرته المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع عام ١٩٩٣م، تتبعت فيه المؤلفة الدين الطبيعي من حيث النشأة التاريخية ومراحله على مر العصور الفلسفية، مع بيان أنه أصبح ديناً للفلسفة.

أما دراستي هذه فقد تخصصت في دراسة الدين الطبيعي بين جون لوك وفولتير وموقفهما من الدين الطبيعي، وذلك من خلال بيان كيفية إثبات وجود الله تعالى، وموقفهما من النبوات والمعجزات وحاجة الدين الطبيعي إليهما، وأثر هذا الدين في انتشار موجة إلحادية في أوربا نهاية القرن الثامن عشر.

إشكالية البحث:

ويمكن تحديد إشكالية البحث في عدة تساؤلات لعل من أهمها:

١- هل القول بالدين الطبيعي يعد إلحاداً من القائلين به أو هو مقدمة لانتشار تيار الإلحاد؟

٢- هل القول بالدين الطبيعي يعني إنكار النبوة والمعجزات أو يمكن أن يكون الفيلسوف من القائلين بالدين الطبيعي ومع ذلك يؤمن بالوحي والنبوة والمعجزات؟

٣- هل يمكن الاعتماد على العقل البشري في إثبات كل عقائد الدين أو أن الاعتماد على ذلك يؤدي إلى إنكار جزء مهم في الدين وهو الغيبيات؟

٤- ما النتيجة التي ترتبت على اعتناق الفلاسفة لهذا الدين؟ وهل ساعد هذا النوع من الفكر على انتشار الدين والتدين بين الناس أم العكس؟

مناهج البحث:

من الملاحظ أن مناهج البحث في العلوم ليست مستقلة تمام الاستقلال منعزلة الواحد عن الآخر، بل هي متداخلة، غير أنى سأتبع في دراستي هذه – إن شاء الله تعالى – المنهج التحليلي النقدي، حيث سيكون المنهج الأساس في هذا البحث، حيث سأتتبع ما ذكره جون لوك وفولتير في مسألة الدين الطبيعي واضعاً ما ذكراه في ميزان النقد دون سابق حكم، ثم سأستخدم وظيفة الاستقراء[١] القائمة على التتبع والجمع، والمنهج التاريخي.

خطة البحث:

قد اشتمل هذا البحث علي مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وتفصيل ذلك فيما يأتي:

أما المقدمة: فذكرت فيها نبذة عن الموضوع، وأهميته، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وإشكالية البحث، والمنهج المتبع فيه، وما اشتمل عليه البحث.

---

(١) المستخدم في البحوث النظرية وظيفة الاستقراء لا منهج الاستقراء وبينهما فرق ظاهر: فالمنهج الاستقرائي قائم على الملاحظة والتجربة وفرض الفروض ثم تسجيل النتائج. وهذا مجاله العلوم التجريبية.

أما وظيفة الاستقراء فهي تعنى التتبع والجمع، وهذا مجاله العلوم النظرية.

التمهيد: مفهوم الدين الطبيعي.

المبحث الأول: موقف جون لوك من الديانة الطبيعية، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: ترجمة جون لوك.

المطلب الثاني: موقف جون لوك من الديانة الطبيعية

المبحث الثاني: موقف فولتير من الديانة الطبيعية، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: ترجمة فولتير.

المطلب الثاني: موقف فولتير من الديانة الطبيعية

المبحث الثالث: نقد الديانة الطبيعية.

وأما الخاتمة: وتشتمل علي أهم التوصيات والنتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

والله أسال أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم

تمهيد
مفهوم الدِّين الطبيعي

لابد أولاً حين نتحدث عن الديانة الطبيعية أو الدين الطبيعي أن نبين مفهوم هذا المصطلح، ومتي ظهر؟ وما معناه والبعد الفلسفي له؟، حتى يتضح المفهوم محل البحث بشكل جلي محدد.

فعلى الرغم من أن هذا المذهب قديم فقد كان أول من حدد خصائصه في العصر الحديث هربرت أوف تشيربري (١٥٨٣م-١٦٤٨م)[١] في دراسة ميتافيزيقية عن الحقيقة من حيث إنها متميزة عن الوحي...[٢].

حيث بدأ المذهب الطبيعي على يد هربرت إذ حاول الاهتداء إلى دين طبيعي تفضي إليه طبيعة العقل البشرى، معارضاً بذلك الدين التقليدي الذى يقوم على السلطة، ومن رأيه أن الدين لا يكون ديناً إلا إذا اتفق الناس على التسليم به والإذعان لتعاليمه، والقدر المشترك الذي تتفق فيه الأديان على اختلاف صورها، هو المقياس الذي يقاس به ما فيها من حق، وما تصدق فيه الأديان صدقاً مطلقاً يبدو في مبادئ؛ أهمها: القول بوجود الله ووجوب عبادته، والاعتراف بقيام ثواب

---

(١) هربرت أوف تشيربري، اللورد إدوارد: كاتب إنكليزي. ولد في ايتون – اون – سرفون في آذار ١٥٨٣. ومات في لندن في ١٦٤٨. من وجوه البلاط الإنكليزي، وسفير انكلترا في باريس. أول انجليزي وضع دراسة حول الميتافيزيقا: " في الحقيقة من حيث إنها متميزة عن الوحي والممكن والكاذب". وقد نقده باكستر ولوك، ومدحه بالمقابل غاسندي وديكارت. ويمكن اعتباره أبا مذهب التأليه الطبيعي الإنكليزي، وكان قريبًا أيضًا من أفلاطوني كامبردج. وله أيضًا ديانة الأمم، وتاريخ هنري الثامن. ومذكرات بالغة الأهمية تاريخيًا تمتد إلى عام ١٦٢٤. ينظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابشي، صـ٦٩٩.

(٢) مدخل إلى الميتافيزيقا، للأستاذ الدكتور/ إمام عبدالفتاح إمام، صـ ٣٥، نهضة مصر، ط: الأولى ٢٠٠٥م.

وعقاب في حياة أخرى، والتسليم بالتوبة والجزاء .. الخ[١].

أما من حيث ظهور المصطلح، فيرجع لفظ " الدِّين الطبيعي" إلى "بيير فيريه"[٢]، تلميذ "كالفن"[٣]، في كتابه التعليم المسيحي، الذي ظهر عام

---

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة، للدكتور توفيق الطويل، مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول، صـ ٢١١ بتصرف يسير، مكتبة الآداب بالجماميز – مصر، بدون.

(٢) بيير فيريت [١٥١١–١٥٧١]: كان من المبشرين الكاثوليك، كان فيريه من أقرب أصدقاء كالفن. يُعرف فيريه بشكل رئيسي بأنه مُصلح لوزان. بعد فترة وجيزة من انضمام جنيف إلى الحركة البروتستانتية، أدخل هو وفاريل البروتستانتية إلى مدينة لوزان. بقي فيريه في تلك المدينة ٢٢ عامًا، محافظًا على ارتباط وثيق بجنيف كالفن. وفي مواجهة المعارضة الشديدة من مدينة برن، عُزل فيريه عام ١٥٥٩، ثم انتقل إلى جنيف. تحت رعاية الكنيسة الجنيفية، خدم فيريت كمبشر نشط في فرنسا وترأس المجمع الإصلاحي في ليون في عام ١٥٦٣. ينظر: مجلة التاريخ المسيحي.https://christianhistoryinstitute.org/magazine/article/calvin-gallery-of-calvins-supporters-and-opponents .

(٣) جون كالفن (١٥٠٩ – ١٥٦٤) ولد في نويون بفرنسا يوم ١٠ يوليو عام ١٥٠٩، وكان أبوه جيرار شوفان سكرتيراً للاسقف، ووكيل أعمال في إدارة الكاتدرائية،وأرسل جان إلى كلية دي مارش في جامعة باريس. وقيد نفسه باسم جوهانس كالفينوس، درس اللاهوت والأخلاق، ثم درس القانون بتوجيه من أبيه عام ١٥٢٨م، وحصل على درجة ليسانس في القانون عام ١٥٣١م.

من مؤلفاته: عالم اللاهوت ونشر باسم " مبادئ الدين المسيحي" عام ١٥٣٦م، وهو كتاب دارت حوله مناقشات كثيرة وبه نتائج منطقية وأفكار جديدة عمن سبقوه، وله أيضاً كتاب: "القوانين"، وبعض الرسائل الفلسفية. ينظر: قصة الحضارة، وِل ديورَانت، ت: ١٩٨١ م، (٢٠٥/٢٤ وما بعدها بتصرف) تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

١٥٦٤م. وقد أطلق نفرٌ من المفكرين على أنفسهم هذا الاصطلاح بوصفهم يؤمنون بوجود الله؛ ليتميزوا بذلك عن الملحدين، وإن كانوا ينكرون كل ما يتعلق بأسرار ألوهية المسيح وصلبه، ومن ثمَّ يتميزون عن المسيحيين. ومن هنا؛ انتقدهم "بيير فيريه" وأدرجهم مع الملحدين[١] .

وبناء على هذا فإن أول ظهور لمصطلح الدين الطبيعي يعود لمنتصف القرن السادس على يد " فيريه" تلميذ " كالفن" .

وحدد فيريه من يطلق عليه هذا المصطلح بأنهم جماعة من المفكرين لا ينكرون وجود الله، ولكنهم ينكرون ألوهية المسيح وصلبه، وبناء علي ذلك؛ فإن فيريه يدرجهم مع الملحدين – وإن كانوا ينكرون ذلك بأنفسهم– لا لإنكارهم وجود الله وإنما لإنكارهم ألوهية المسيح وصلبه.

وفي مقال بيير بايل[٢] عن "فيريه" في معجمه التاريخي والنقدي الذي ظهر عام ١٦٩٧م، وترجم إلى الإنجليزية عام ١٧١٠م كانت أهم إشارة إلى "الدِّين الطبيعي" كمذهب فكري.

---

(١) وحملها الإنسان...، مقالات فلسفية، للدكتور/ أحمد محمود صبحي، صـ ١٩٠– ١٩١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت، ط: الأولي، ١٩٩٧م.

(٢) بييربيل١٦٤٧م – ١٧٠٦م: فيلسوف وناقد فرنسي شهير، كان "أبو الاستنارة" ابن قسيس من الهيجونوت يعمل في مدينة كارلا في مقاطعة فوا في سفح البرانس، حيث قضي بيير هناك الاثنين والعشرين عاماً الأولى من عمره، يتعلم اليونانية واللاتينية والكلفنية. وفي ١٦٦٩م أرسل إلي الكلية اليسوعية في تولوز ، وسرعان ما تحول إلى الكاثولكية في حماسة بلغت به إلى درجة محاولته تحويل أبيه وأخيه إليها. فاحتملاه في صبر وجلد، وبعد ذلك بسبعة عشر شهراً عاد إلى مذهب أبيه. ولكنه بات الآن هرطيقاً مرتداً. فكان عرضة لملاحقة الكنيسة الكاثوليكية له. فأرسله أبوه حماية له منها، إلى الجامعة الكلفنية في جنيف (١٦٧٠م)، أملاً في أن يلتحق بيير بخدمة الكنيسة البروتستانتية وهناك على

ومع ذلك ظل هذا المصطلح مجهولًا في إنجلترا حتى أطلقه صمويل جونسون[١] عام ١٧٥٥م على إنسان لا يعتنق دينًا معينًا من الأديان المعروفة، وإن كان يؤمن بوجود الله، فمعتنق الدِّين الطبيعي وإن كان موحدًا لا يلتزم بعقيدة معينة، وهو بصدد المسيحية ينكر عقيدة التثليث، ويعادي النظام الكنسي[٢].

إذاً ببير بايل يؤكد ما يراه فيريه من أن أتباع الديانة الطبيعية يؤمنون بالله تعالي، إلا أنه يري أن معتنق الدين الطبيعي لا يلزم نفسه بعقيدة معينة أو مذهب عقدي ثابت، لكنه ينكر عقيدة التثليث ويعادي النظام الكنسي.

وبناءً على ما ذكره ببير بايل فإن أصحاب الديانة الطبيعية مثلوا ثورة على النظام الكنسي ورفض أي سلطة دينية تقليدية، وأنكروا أي عقيدة تتناقض مع

أية حال وقع بيل على مؤلفات ديكارت، وبدأ يتسرب إلى نفسه الشك في كل أشكال المسيحية...

له مؤلفات عديدة لعل من أهمها: " خواطر حول المذنَّب" صدر عام ١٦٨١م، وتعرض لانتقادات كثيرة بسببه، وله " نقد تاريخ الكالفينية للأب منبورغ" هاجم فيه أعداء حركة الإصلاح البروتستانتي، ولعل أهم كتبه على الإطلاق " القاموس التاريخي والنقدي" (١٦٩٥م- ١٦٩٧م) والذي يتوج حياته الفكرية والأدبية. ينظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، (٨٣/٣٤ وما بعدها)، معجم الفلاسفة، صـ ١٥١-١٥٢ بتصرف.

(١) أول فيلسوف في القارة الأفريقية، وهو فنان يستحق هذا الاسم (١٦٨٦) - (١٧٧٢) تتلمذ على بركلي وكان أرسخ اعتقادًا منه بوجود أساس مشترك لجميع الديانات المؤسسة، دافع بحرارة عن المذهب اللامادي، انتخب أول رئيس لمعهد نيويورك الذي سيُعرف لاحقاً باسم جامعة كولومبيا، نشرت أعماله الكاملة في لندن في تسعة مجلدات (١٩٤٨ - ١٩٥٧). ينظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابشي، صـ٢٦٤-٢٦٥ بتصرف.

(٢) وحملها الإنسان...، مقالات فلسفية، للدكتور/ أحمد محمود صبحي، صـ ١٩١.

العقل مثل عقيدة التثليث.

وهناك من يري أن أصحاب الديانة الطبيعية لا تجمعهم وحدة فكرية، ولا يشكلون مدرسة فلسفية؛ ذلك أنهم لم يكونوا فلاسفة مذهبيين، وإنما اقتصر اهتمامهم على الجوانب العملية بهدف الإصلاح في المجالات الدينية والاجتماعية والسياسية.

وهم وإن اختلفوا فكرياً فإنه يجمعهم آخر الأمر التسليم بوجود الله مع التمرد على الكنيسة، والإيمان بوحدانيته، مع السخط على الاضطهاد الديني، والدعوة إلى التسامح، وحق الإنسان في حرية الفكر في المسائل الدينية والسياسية على السواء(١).

وهذا يعني أن مذهب الديانة الطبيعية ما هو إلا مذهب إصلاحي، كان من أسباب نشأته الاضطهاد الديني، وقد عمل هذا المذهب على التخلص من هذا الاضطهاد ومحاربته.

وأن العامل المشترك بين أصحاب الدين الطبيعي هو الإيمان بالله تعالى، ورفضهم للاضطهاد الديني، ودعوتهم للتسامح والحرية الدينية والسياسية، أما ما دون ذلك من شعائر وطقوس دينية أو وحى يناقض العقل فلا يؤمنون به على ما سيتضح خلال البحث – بمشيئة الله تعالى–.

وخلاصة القول: إن أصحاب الدين الطبيعي لا ينكرون وجود الله، ولكنهم ينكرون ألوهية المسيح وصلبه، ويشنون في سبيل ذلك حرباً على النظام الكنسي الذي يُكره الناس على اعتقاد ألوهية المسيح وصلبه، وكان هدفهم الإصلاح في المجالات الدينية والاجتماعية والسياسية.

❖ المقصود بالدين الطبيعي من خلال المعاجم الفلسفية:

---

(١) وحملها الإنسان...، مقالات فلسفية، للدكتور/ أحمد محمود صبحي، صـ ١٩١.

أما معني الدين الطبيعي في الكتب والمعاجم الفلسفية فقد اختلفت التعاريف له باختلاف الفلاسفة والمفكرين الذين تناولوا المصطلح:

فيرى الدكتور "مراد وهبة" في معجمه الفلسفي أنَّ مصطلح "الدِّين الطبيعي" ظهر في القرن الثامن عشر ويدور على الإيمان بوجود الله، وخلود الروح، وانتفاء الوحي.

وعند كانط هو معرفة ما هو حق قبل أن يكون مقبولاً كأمر إلهي في مقابل دين الوحي"(١).

فهنا يري مراد وهبة أن أصحاب الدين الطبيعي يؤمنون بالله وخلود الروح لكنهم ينكرون الوحي، ويذكر تأكيد كانط أنه دين مقابل دين الوحي؛ وبالتالي فإن معتنق الدين الطبيعي هو الذي يؤمن بالله فقط بجانب اعتقاده بخلود الروح.

كما يعرفه الفيلسوف الفرنسي أندريه لالاند في موسوعته الفلسفيَّة بأنَّه "تعبير مستعمل خصوصاً في القرن الثامن عشر، وهو مجموعة اعتقادات بوجود الله ورحمته، وبروحانية النفس وخلودها، وبالطابع الإلزامي للعمل الأخلاقي، باعتبارها كلها من وحي الوعي والنور الداخلي الذي ينور كل إنسان"(٢).

ونلاحظ هنا عدم ذكر لالاند إنكارهم للوحي صراحة وإن كانوا يرون أن اعتقاداتهم في الله والنفس والأخلاق مصدرها النور الداخلي للإنسان على حد تعبيره؛ وبالتالي فإن الإنسان يمكنه الوصول إليها من خلال نور العقل الذي بداخله.

وهذا أيضاً ما يراه الدكتور "جميل صليبا" حيث يعرف الدين الطبيعي بأنه "اصطلاح أُطلق على الاعتقاد بوجود الله وخيريته، وبروحانية النفس وخلودها،

---

(١) المعجم الفلسفي، لمراد وهبه، صـ ٣١٧، دار قباء الحديثة، ط: الخامسة، ٢٠٠٧م.

(٢) موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، صـ ١٢٠٤-١٢٠٥، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط: الثانية، ٢٠٠١م.

وبإلزامية فعل الخير من جهة ما هو ناشئ عن وحي الضمير ونور العقل"[١].

وتُميّز جاكلين لاغريه بين الدين الطبيعي بما هو " فكر الدين وممارسته كما يحدّدها العقل بالاستقلال عن أيّ وحي"، ودين الطبيعة: "الذي يحيل إلى أشكال تاريخيّة للأديان، حيث تعبد كائنات وعناصر للطبيعة، كالشمس والنجوم والينابيع.

كما تُميز بين الدِّين الطبيعي الذي يرتكز على العقل كمصدر ومعيار ومعرفة، إلا أنه لا يلتبس لا مع الدِّين العقلاني ولا مع أي نوع من أديان العقل؛ حيث يدل الدِّين الطبيعي على الدِّين الذي مر في غربال العقل ففسرَّه وبرَّره[٢] .

وهنا جاكلين لاغريه تضع أيدينا على نقطة مهمة وهي: أن الدين الطبيعي مختلف عن دين الطبيعة الذي يعبد أصحابه عناصر الطبيعة، وإنما هو الدين الذي فسره العقل وبرر معتقده.

وهنا أيضاً لم يُذكر أي نفي للوحي باعتباره مميزاً للدين الطبيعي، بل إنه جعل المميز لهذا الدين عن غيره هو تفسير العقل وتبريره لكل ما فيه.

وقد جاء تعريف صاحب " الموسوعة الفلسفيَّة المختصرة " للدين الطبيعي بأنه: الاعتقاد بأن هناك إلهًا كائنًا أسمى، خيِّرا حكيمًا، قد خلق العالم، لكنَّه لم يعد يتدخل فيه...، ولا سبيل لمعرفة هذا الإله إلا بمناهج الأدلة العقلية[٣].

---

(١) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، للدكتور جميل صليبا، صـ ٥٧٣، دار الكتاب اللبناني و مكتبة المدرسة، بيروت– لبنان، ١٩٨٢م.

(٢) الدين الطبيعي، جاكلين لاغريه، صـ ١٠ بتصرف.

(٣) الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان رى ـ وج.أو. أرمسون، صـ ٤٢٣ بتصرف، ترجمة: فؤاد كامل وأخرون، مراجعة: الدكتور زكي نجيب محمود. دار القلم، بيروت– لبنان، بدون.

ويري البعض أنَّ الدِّين الطبيعي:" لا يقول بالبعث ولا بالحساب، ولكن دعاته لا يجحدون الإله بالكلية، وإن كانوا يُحلُّون محل الإله فوق الطبيعي إلهًا طبيعياً هو الإنسانية، حيث يدين الإنسان الفرد بحياته ووجوده للإنسانية، سواءٌ من ناحية استمراره البيولوجي أو ثقافته، وكذلك فإن البشرية تحتاج لهذا الإنسان الفرد، بعكس الإله في الديانات الكتابية حيث هو الغني عن عباده"(١).

وبالتالي؛ فإنَّ الدِّين الطبيعي قد سُمِّي "دينًا" لأنَّه يؤمن بوجود خالق أو صانع أو مهندس أكبر لهذا الكون، خلقه ونظّم قوانينه وتركه يسير على هذه القوانين دون تدخل لاحق منه.

وسُمي "طبيعيًا" لأنَّ أنصار هذا الدِّين استغنوا تقريبًا عن كل ما هو غيبي، ووقفوا عند كل ما هو طبيعي؛ فرفضوا الوحي والنبوات والمعجزات المناقضة للعقل.

ويطلق علي الدين الطبيعي عدة مصطلحات أخرى منها المذهب الربوبي الذي يقول: بأن العقل وحده، وبدون أن يكون في حاجة إلى وحي أو إلهام، قادر على قيادتنا إلى الفهم الصحيح للدين والأخلاق(٢).

ويسمى أيضاً بديانة العقل، فالدين العقلي هو مبادئ الأخلاق المشتركة للجنس البشري(٣).

---

(١) المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، للدكتور عبدالمنعم الحنفي، صـ ٣٦١، مكتبة مدبولي، ط: الثالثة،١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

(٢) تاريخ الفكر الأوروبي الحديث١٦٠١ - ١٩٧٧م، لرونالد سترومبرج، ترجمة أحمد الشيباني، صـ ١٧٦، دار القارئ العربي- مصر، ط: الثالثة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

(٣) تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، ترجمة: الدكتور جورج طعمه، ومراجعة الأستاذ برهان الدين الدجاني، تقديم: الدكتور محمد حسين هيكل، صـ ٤٤٠، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٣م.

وخلاصة القول: إن المقصود بالدين الطبيعي هو الدين الذي يؤمن أصحابه بالله تعالى وبخلقه للعالم، ويستدلون على وجوده تعالى بالعقل، لكنهم ينكرون تدخله في شئون العالم بعد خلقه، ويؤمنون بخلود الروح، سواء أنكروا الوحي أم لا. وقد ظهر هذا الدين أو المصطلح في القرن الثامن عشر.

ومما يجدر الإشارة إليه والتنبيه عليه هنا هو أن أصحاب الديانة الطبيعية أو ديانة العقل أو المذهب الربوبي، قد انقسموا إلي قسمين رئيسيين انصرف جهدهم إلى الجدل حول ما إذا كان الإنسان يستطيع بواسطة العقل وحده أن يبرهن على وجود الله، وأن يكتشف قوانين الأخلاق[١]؟

فمنهم من رفض ذلك وقال بعدم إمكان ذلك، وقال المؤمنون بالله المنكرون للوحى: نعم، وعلى أي حال فقد اتفقوا –مجمعين– على الدين العقلي[٢].

وهناك من يطلق على المنكرين للوحي المذهب الربوبي، وهو الذي يري أصحابه أن العقل وحده وبدون أن يكون في حاجة إلي وحي أو إلهام قادر على قيادتنا للفهم الصحيح للدين والأخلاق.

وهؤلاء يجب التميز بينهم وبين القائلين بأن المسيحية تتفق منطقياً مع العقل، ولم يعنوا أننا نستطيع أن نستغني عن الأولى (المسيحية) ونستخدم العقل فقط، وهؤلاء مثل لوك وكلارك...[٣].

ومع إيماني بأنه لا مشاحة في الاصطلاح؛ إلا أن الإطلاقات المختلفة على الدين الطبيعي سواء أطلق عليه ديانة العقل، أم المذهب الربوبي، أم المذهب

---

(١) تاريخ الفكر الأوربي الحديث، لرونالد سترومبرج، صـ ١٧٣.

(٢) تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، صـ ٤٢٠ بتصرف.

(٣) تاريخ الفكر الأوروبي الحديث١٦٠١ – ١٩٧٧م، لرونالد سترومبرج، صـ ١٧٦ بتصرف.

الطبيعي؛ فإن أصحاب هذه المسميات المختلفة يؤمنون بالله تعالي كعامل مشترك، ويختلفون بالنسبة للوحي فمنهم من أنكره إنكاراً تاماً مكتفياً بالعقل، ومنهم من تمسك به وحافظ عليه؛ لكنه مع ذلك وضعه تحت مختبر العقل فما وافق العقل قبله، وما ناقض العقل رفضه وتركه.

لكن مما يجب الإشارة إليه أنه كان هدف فلاسفة أوربا في القرن السابع عشر هو البحث عن بعض مبادئ مسيحية كلية يمكن أن يتفق عليها جميع الأفراد؛ بصرف النظر عما بينهم من فوارق لاهوتية.

ولكن بتقدم الجدل الديني وفي نهاية القرن كان معظم المفكرين من القادة الدينيين قد انقسموا إلى معسكرين. وقد اتفق الفريقان على أن جوهر الدين إنما هو مجموعة من العقائد يمكن إثباتها بالعقل الطبيعي وحده ومن غير عون أو مساعدة.

وقبِل المحافظون والمجددون ديانة الطبيعة أو العقل كشيء أساسي، لكن المحافظين شددوا على أهمية الوحى بالإضافة إلى ما تقدم؛ فكانوا بذلك عقليين سماويين، ميزوا بين ما يمكن إثباته عقلياً وما لا يمكن إثباته، وقبلوا هذين العنصرين من التقليد.

أما المجددون الجذريون؛ فقد اختلفوا عن الفريق الأول في أنهم مع إقرارهم بوجود الله أنكروا الوحى، وشددوا على كفاية الدين الطبيعي والعقلي.

واستمر الجدل جيلاً بكامله حول مسألة الوحي وفيما إذا كان ضرورياً أو غير ضروري، بالإضافة إلى هذا الدين العقلي، ثم ظهر نقادٌ أكثرُ تشككاً فتساءلوا حتى عن صحة المقدمات للديانة الطبيعية، ولم يكد القرن ينتصف حتى ظهر مذهب ريبي كامل ما لبث أن انتشر في فرنسا وانتهى فيها إلى إلحاد شامل.

ومع اختلاف المحافظين والمجددين حول الوحي إلا أنه بالرغم من هذا الاختلاف فقد كانوا جميعاً علي اقتناع تام بإمكان قيام لاهوت طبيعي قائم على العقل أو الطبيعة[1].

إذاً نحن أمام تيارين في فلسفة القرن الثامن عشر بالنسبة للديانة الطبيعية:

الأول: يؤمن بالله تعالي ويؤمن بالديانة الطبيعية أو ديانة العقل ومع ذلك لا ينكر الوحي بأي حال من الأحوال.

الثاني: يؤمن بالله تعالي ويؤمن بالديانة الطبيعية أو ديانة العقل وبالتالي ينكر أي قيمة أو حاجة للوحي الإلهي.

وسوف أبحث – بمشيئة الله تعالى – نموذجاً من كل تيار من التيارين وهما جون لوك وفولتير ليتبين لنا مدى الاتساق الفكري بين هذين الفيلسوفين وما نتج عن هذه الفكرة من نتائج أثرت على فكرة الدين في القرن الثامن عشر.

❖ أبرز القائلين بالدين الطبيعي:

لعل من أبرز مفكري الدين الطبيعي من الفلاسفة:

١- لورد هربرت أوف تشيربري: (ت ١٦٤٨م): وهو يعد رائد المذهب في إنجلترا وهو الذي حدد ملامح المذهب الطبيعي.

٢- جون تولاند (ت: ١٧٢٢م): الذي نشر أهم مؤلف في الدين الطبيعي " مسيحية بلا أسرار" يبين فيه أن لا شيء في المسيحية معارض للعقل ولا فوق مداركه، وفيه يعارض أسرار الإنجيل.

٣- أنطوني كولينيز (ت ١٧٢٩م): أهم مؤلفاته: " مقالة استخدام العقل" و" مقالة في حرية الفكر" و" مسيحية كدين الطبيعة" وفيه أكد أن التعصب الديني والخرافة أشد شرًا من الإلحاد، وأن كلًا من إصلاح الدين والعلم قد حررا

(١) **تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، صـ ٤٣٨ بتصرف.**

الإنسان من الكهانة، وأن الكهنة مسئولون عن انتشار الشك لكثرة اختلافاتهم حول تفسير النصوص.

٤- توماس ودلستون (ت ١٧٣١ م): تلميذ أنتوني كولينز، شن حملة على نبوءات الكتاب المقدس ومعجزاته وفسر بعض نصوصه تفسيراً رمزياً. له كتاب" إحياء دفاع قديم من أجل حقيقة الدين المسيحي ضد اليهود والأممين" ثم كتب " ست مقالات حول معجزات المسيح".

٥- جان جاك روسو (ت:١٧٧٨م): حيث تحدث روسو بأفكار من الدين الطبيعي في كتابه " اميل أو في التربية" حيث أعلن أن الإيمان بالله إنما يوجد بداخله وليس بطريقة مفتعلة.

هذا بالإضافة إلى جون لوك وفولتير موضوع البحث هذا.

ومن الجدير بالذكر هنا أن هيوم اضطربت المواقف حوله هل هو من القائلين بالدين الطبيعي أو لا ؟ ، والحقيقة أن هيوم كان من المشككين في أصول الديانة الطبيعية؛ فقد شن حملته على الديانة الطبيعية فقد ضمنها كتابيه: " بحث في العناية الإلهية والحياة المقبلة" المنشور عام ١٧٤٨م و " محاورات حول الديانة الطبيعية" الذي ألفه عام ١٧٥١م والذي لم ينشر إلا بعد موته عام ١٧٧٩٩م.

حيث تساءل "هيوم": أي مقدار من الاعتقادات الدينية التقليدية يمكن أن يستنتج في الواقع من الحقائق الملاحظة في الطبيعة ؟ فأجاب إنه مقدار ضئيل جداً...

ويرى أنه ليس لنا من الأسباب ما يدفعنا لأن نستنتج وجود حياة أخرى يتفق فيها الثواب والعقاب مع الرغائب الإنسانية، ورأى أن لا يمكن وجود دليل كلي الحكمة كلي الخير، وليس من الضرورة وجود علة أولى للكون وأنه من السهل

أن نتصور الكون موجوداً بذاته وقديماً. وليس ثمة شبه بين شيء في العالم كالساعة وبين العالم بكامله فقد رأينا الساعة تصنع ولم نر العوالم تصنع.

هذا وقد أيقظ هيوم شكوكاً كثيرة عندما بحث في صحة قواعد الديانة الطبيعية[١]، حتى ذهب إلى أن الربوبيين ونظرياتهم عاجزة تماماً عن تقديم دليل على الفكرة القائلة بوجود أخلاق طبيعية، أو دين طبيعي يدركه جميع الناس[٢].

---

(١) تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، صـ ٤٥٨ بتصرف.

(٢) تاريخ الفكر الأوروبي الحديث١٦٠١ – ١٩٧٧م، لرونالد سترومبرج، صـ ١٧٨ بتصرف.

المبحث الأول
المطلب الأول
ترجمة جون لوك(١)

وُلِدَ أعظم فلاسفة العصر تأثيرًا " جون لوك " في رنجتون، بالقرب من بريستول، في ٢٩ أغسطس سنة ١٦٣٢م. نشأ وترعرع في إنجلترا، التي شهدت ثورة دامية أدت إلى مقتل ملكها، ليصبح صوتًا مناديًا بثورة سلمية وعصر يسوده الاعتدال والتسامح، مُجَسِّدًا التسوية الإنجليزية بأحكم صورها وأفضلها (٢).

أما عن والده فقد كان أبوه محامياً، ناصر مع شيء من التضحية قضية البرلمان، وشرح لابنه نظريتي سيادة الشعب والحكومة النيابية، وبقي لوك مخلصاً لهذه الدروس مؤمناً بها، شاكراً معترفاً بفضل أبيه في تعويده على الرصانة الدروس مؤمناً بها(٣).

قضى " لوك " فترة طفولته في سومرست حتى بلغ الرابعة عشرة ثم أرسل إلى مدرسة وستمنستر في سنة ١٦٤٦م، ثم التحق جون لوك بجامعة إكسفورد لدراسة الفلسفة في العام ١٦٥٢م(٤)، وكانت الجامعة لا تزال مدرسية في فلسفتها، وكان " لوك " يكره المدرسية ونزعة التعصب عند المستقلين(٥)، ثم

---

(١) كتب الكثير من الباحثين عن جون لوك وحياته ومؤلفاته بشكل مفصل وهذا ما يجعلني أترجم له باختصار حتى لا أطيل البحث بلا فائدة.

(٢) قصة الحضارة، وِل ديورَانت، (٣٤/٤٢ بتصرف).

(٣) المرجع السابق نفسه بتصرف.

(٤) جون لوك من فلاسفة الإنجليز في العصر الحديث، صـ٥، للأستاذ الدكتور فاروق عبد المعطي وكيل كلية الآداب – جامعة المنصورة، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

(٥) تاريخ الفلسفة الغربية، لبرتراند رسل، صـ ١٧١، ترجمة: د/ محمد فتحي الشنقيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

عمل محاضراً في الفلسفة اليونانية وفلسفة الأخلاق في مدرسة الكنيسة بإكسفورد.

حصل على درجة علمية تؤهله لممارسة الطب من أكسفورد في عام ١٦٧٥م. وفُصل من وظيفته لأسباب سياسية في عام ١٦٨٣م، وهرب إلى هولندا لنفس الأسباب وفي نفس العام، ثم عاد إلى إنجلترا في عام ١٦٨٨م بعد قيام ثورة المحافظين، وشغل عدة مناصب سياسية حتى وفاته سنة ١٧٠٤م [(١)].

حيث ساعدت ثورة ١٦٨٨م لوك في العودة إلى إنجلترا مع الأسطول الذي أحضر الملكة ماري الثانية عام ١٦٨٩م. واحتل " لوك " في العشر سنوات التالية مواقع سياسية هامة ونشر كتبه[(٢)].

وبالتالي؛ فإن حياته العملية كانت خصبة فيها كثير من النشاط والتغيير، حياة ديناميكية فعالة لم يكتف فيها بتعلم الفلسفة، ولا بدراسة الطب ومزاولته من حين لآخر، بل كانت له في الميادين السياسية والاقتصادية والتربوية جهود واضحة تبلورت في شكل مؤلفات قيمة تشرح رأيه وتعبر عن وجهة نظره الإصلاحية فيما يتعلق بمشكلاتها[(٣)].

مؤلفاته:

كتب لوك مؤلفات عديدة في شتى موضوعات المعرفة الإنسانية في نظرية المعرفة، والسياسة، فضلاً عن الأخلاق، وكذلك في التربية والدين وغيرها من مؤلفات.

---

(١) الفلسفة الحديثة مذاهب وتيارات، صـ ٣١، د/ رياض شريم، وزارة الثقافة الأردنية، ط: الأولى، ٢٠٢١م.

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلى رايت، صـ ١٥١.

(٣) سلسلة الأعلام من الفلاسفة " جون لوك"، للأستاذ الدكتور فاروق عبدالمعطي، صـ ٧-٨ بتصرف، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

وهذه قائمة بمؤلفات " جون لوك " مع تاريخ صدورها، وفكرة موجزة عن موضوعاتها ومناسبات ظهورها: –

١ – " المقالة في العقل البشري " ، وهو المؤلف الرئيسي لـ " جون لوك" في الفلسفة النظرية، أنجز سنة ١٦٦٧م، ونشر في سنة ١٦٩٠م(١).

حيث ظهرت المسودة الأولى من هذا الكتاب المهم في نهاية عام ١٦٦٧م، أما المسودة الثانية للمقالة فقد ظهرت في عام ١٦٩٠م.

وقد ظل " لوك " منذ عام ١٦٧١م يؤلف في مسودتيه القصيرتين وتوسع فيهما على مدى ما يقرب من عشرين عاماً حتى عام ١٦٩٠م، وهو تاريخ ظهور أعظم أعماله المقال في العقل البشري، ثم ظهر بعد ذلك في طبعة رابعة عام ١٧٠٠م، وعلى الرغم من ظهور المقال في صورة ضخمة، مليئة بالتكرار مما يدل على أنه قد كتب على فترات متباعدة؛ إلا أنه قد صيغ بأسلوب عالم كبير، وفيلسوف متزن واضح، فأصبح المؤلف الرئيس والشهير للوك منذ عصره وحتى الآن.

وينقسم هذا المؤلف الضخم إلى أربعة أقسام: يبحث في الأول نظرية الأفكار والمبادئ الفطرية، أما الثاني فيتناول فيه مصادر الفكر الإنساني، ويعرض في الثالث للعلاقة بين الفكر واللغة، أما القسم الأخير فيبين نظرية المعرفة.

وقد أثير حول كتابه المقال ثَمَّةَ أوجه نقد منها: إنه لم يكن حريصاً على كتابة تفصيلات وقائعه، كما لم يكن دقيقاً في التوصل إلى النتائج التي ينطوي عليها موقفه(٢).

---

(١) تاريخ الفلسفة الغربية، لبرتراند رسل، صـ ١٧٠ بتصرف.

(٢) جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، لراوية عبدالمنعم، صـ ٢٨-٢٩ بتصرف.

ويعتبر مؤرخو الفلسفة هذا المؤلف من" لوك " أول محاولة منظمة لفهم المعرفة البشرية وتحليلها للفكر الإنساني وعملياته وطبيعته(١)، وهو أهم كتب " جون لوك" وعليه انبنت شهرته أوثق بناء(٢).

٢ - رسالة في التسامح: وقد أصر لوك على عدم إفشاء أمر تأليفه لكتابيه " رسالة في التسامح" " ورسالتان في الحكم" الآتي ذكرهما، بل كان يصاب بحالة هيستيريا شديدة عندما يهدده أصدقاؤه بكشف أمره(٣).

وقد ظهرت " رسالة في التسامح " بلغتها اللاتينية وترجمت في عام ١٦٨١م، وبعدها نشر لوك رسالة ثانية في التسامح عام ١٦٩٠م، ثم نشر بعدها بعامين رسالة أخرى بعنوان رسالة ثالثة في التسامح وذلك في عام ١٦٩٢م.

وظهر له جزء من الرسالة الرابعة بعد وفاته حيث لم يكن قد استكملها وكتاب سياسي آخر عن " الدساتير"، وكان قد أتمه عام ١٦٧٣م، ولم يقم بنشره فنشروا جميعاً بعد وفاته في عام ١٧٠٠م.

٣ - رسالتان عن الحكومة: وقد ظهرت في عام ١٦٩٠م، وتكرر ظهورها عام ١٦٩٤م.

وقد دفعه تفكيره في كتابة هاتين الرسالتين بسبب ما آل إليه حاله السياسي من شهرة وما اكتسبه من خبرة بالعمل السياسي وخاصة إبان قيام ثورة المحافظين في عام ١٦٨٨م.

وتهتم مجموعة المؤلفات السالفة ببحث الموضوعات السياسية والثورية التي

---

(١) جون لوك"، للأستاذ الدكتور فاروق عبدالمعطي، صـ ١٣ بتصرف.

(٢) تاريخ الفلسفة الغربية، لبرتراند رسل، صـ ١٧١ بتصرف.

(٣) جون لوك مقدمة قصيرة جداً، لجون دن، صـ ٣٠، ترجمة فايقة جرجس حنا، مراجعة هبة عبدالمولى، مؤسسة هنداوي، ط: الأولى ٢٠١٦م.

كانت مثار بحث وتساؤل وثورة في عصر " لوك ".

٤ - بعض أفكار عن التربية: وظهر من خلال طبعتين الأولى في عام ١٦٩٣م والثانية في عام ١٦٩٥م ويعرض فيه لأهم مبادىء التربية.

٥- معقولية المسيحية:

وقد ظهر في عام ١٦٩٥م وكان لهذا المؤلف دفاعان عن رأي صاحبه ظهر الأول في عام ١٦٩٥م أما الثاني فقد ظهر عام ١٦٩٧م.

٦- مجموعة كتب نشرت للوك بعد وفاته عام ١٧٠٦ :

أ - كيف يعمل العقل.

ب - دراسة لرأي مالبرانش في رؤية الأشياء في الله.

ج - بحث في المعجزات

د- جزء من رسالة رابعة في التسامح

هـ - ذكريات تتعلق بحياة شافتسبري.

٧ - وفي عام ١٧١٤ نشرت الآثار الباقية من جون لوك(١).

المطلب الثاني
موقف جون لوك من الديانة الطبيعية

اختلف المفكرون حول نسبة " لوك " للديانة الطبيعية بين النفي والإثبات، فمن حدد الديانة الطبيعية بالإيمان بالله تعالى مع إنكار الوحي؛ نفى أن يكون " لوك " من القائلين بالدين الطبيعي؛ لأن " لوك " لا ينكر الوحي فهو يقول: إن الديانة المسيحية تتفق منطقياً مع العقل، لكنه لم يعنى أننا نستطيع أن نستغني عن المسيحية ونستخدم العقل فقط، إلا أن هؤلاء يرون أن هؤلاء مهدوا الطريق – دون قصد – أمام الربوبيين المناهضين للمسيحية(٢).

---

(١) جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، لراوية عبدالمنعم، صـ ٢٩-٣١ بتصرف.

(٢) ينظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث١٦٠١ - ١٩٧٧م، لرونالد سترومبرج، صـ ١٧٦ بتصرف.

ومن حدد الدين الطبيعي بإنكار الوحي يري أيضاً أن " جون لوك " من القائلين بالدين الطبيعي أو من الطبيعيين الإلهيين: فهو يؤمن بالله وبوجوده إلا أنه من المنكرين للوحي والرسل والكتب المقدسة؛ على أساس أن العقل وحده بنوره الطبيعي قادر على معرفة الله(١).

وهناك من يري أن " لوك" وإن كان من المؤمنين بالوحي إلا أن هذا لا يخالف أنه من القائلين بالدين الطبيعي، وذلك لسببين:

السبب الأول: أن " لوك " له كتاب في " قانون الطبيعة" فالإيمان الطبيعي إلزام العقل، والإيمان الطبيعي موجود بوجود الإنسان سابق لكل الأديان السماوية والوثنية.

وقانون الطبيعة هو أمر الإرادة الإلهية يدركه العقل باستخدام قدراته المعرفية، وقدرة الإنسان على استخدام العقل هو ما يسميه " لوك " بنور الطبيعة الذي ندرك بواسطته قانون الطبيعة؛ فقانون الطبيعة أمر الإرادة الإلهية الذي يدركه العقل بالدليل والبرهان.

والسبب الثاني: أن الإيمان بالإنجيل النقي كأمر للإرادة الإلهية عرفته البشرية عن طريق الوحي، ولا يكون الإيمان به عند لوك إلا عن طريق الدليل والبرهان العقلي أيضاً.

فما يقوله العقل هو صوت الله في الإنسان؛ لهذا فالنصوص الدينية (إن كانت إلهية حقيقية) لا تتناقض والعقل الإنساني ولا تتجاوز قدراته المعرفية(٢).

---

(١) مدخل إلى الميتافيزيقا، للأستاذ الدكتور/ إمام عبدالفتاح إمام، صـ ٣٥-٣٦.

(٢) الدين والسياسة في فلسفة الحداثة، د/ فريال حسن خليفة، صـ ١٠، مصر العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

ولذلك فإن جاكلين لاغريه ترى أن جون لوك يمثل الطابع العاقل للمسيحية[1].

فالخلاف حول نسبة لوك للدين الطبيعي تبعاً للمقصود بالدين الطبيعي ينحصر في ثلاثة أقوال:

الأول: فمن حدد الديانة الطبيعية بالإيمان بالله تعالى مع إنكار الوحي؛ ينفي أن يكون جون لوك من القائلين بالدين الطبيعي؛ لأنه لم ينكر الوحي.

الثاني: يري أن جون لوك من المنكرين للوحي فهو من القائلين بالديانة الطبيعية.

والثالث: أنه من المؤمنين بالوحي إلا أن هذا لا ينفي أن يكون من الطبيعيين.

وبالتالي؛ فإني أري أن " جون لوك" ينسب إلى الدين الطبيعي بمعنى أن الإنسان يمكنه الوصول إلى العقائد الإيمانية عن طريق العقل، وهو وإن كان يؤمن بالوحي إلا أنه يُنقح هذا الوحي عن طريق العقل، ويُبين ما يناقض العقل ويرفضه، وما يتفق مع العقل يؤمن به ويوضحه، على نحو ما سنبينه خلال الحديث عن موقفه من الوحي بمشيئة الله تعالى.

وإذا أردتُ أن أتحدث عن موقف " جون لوك " من ديانة العقل فلابد أن أُبين موقفه من وجود الله تعالى، وسبيله لإثبات وجود الله تعالى، ثم بعد ذلك أُبين موقفه من الوحي، وهل هو من المؤمنين بهذا الوحي أم من المنكرين له؟

أدلة لوك على وجود الله تعالى:

مسألة وجود الله تعالى هي من الأمور المتفق عليها عند القائلين بالديانة الطبيعية أو ديانة العقل، فهم يثبتون وجود الله تعالى عن طريق العقل، ومن هؤلاء " جون لوك " فهو يؤمن بوجود الله تعالى لكنه يريد إثبات وجوده عن

(١) الدين الطبيعي، جاكلين لاغريه، صـ ١٢٩.

طريق العقل.

فيستدل جون لوك على وجود الله تعالى من خلال دليلين: أحدهما احتمالي. والآخر برهاني:

الدليل الاحتمالي:

وهذا الدليل الاحتمالي كان في بداية بحثه عن برهان صحيح على وجود الله، وهو دليلٌ قائمٌ على المقارنة بين الإلحاد الذي ينكر فكرة وجود إله وبين الإيمان بوجود إله، فهو يري: أنه لو كان الإلحاد صحيحًا، فإنه يؤدي إلى فنائنا، أو إلى انعدام حساسيتنا إلى الأبد. أما إذا كان باطلاً، فالنتيجة هي الشقاء المقيم، أي: الدائم.

وأما إذا كانت الألوهية صادقة، فإنها تجلب السعادة الأبدية، على حين أن بطلانها يستتبع فناءنا.

وهذه الاختيارات المتباينة المعروضة على تصديقنا العام تنطوي على ضرب من التحدي؛ فإن خير ما يمكن أن يحمله إلينا اختيار الإلحاد لا يفضل أسوأ ما يمكن أن نتوقعه من التسليم بالألوهية: أعني الفناء التام، وقبول الإلحاد يجازف بفقدان السعادة، والتعرض لخطر التعاسة في مقابل لا شيء تمامًا.

ويمثل الإلحاد – من حيث حكمنا العملي – اختيارًا أقل احتمالًا ومعقولية من اختيار مذهب الألوهية. واعترف لوك بأن هذه الحجة حجة احتمالية [١].

فهنا يستخدم " لوك " قاعدة الاحتمال بين عقيدة الإيمان بوجود إله خالق لهذا العالم، وبين من ينكر خالق أو صانع للعالم وهو الملحد.

فهو حين يقابل بينهما لا يعني هذا أنه يشك في وجود الله تعالى، ولكنه يريد

---

(١) الله في الفلسفة الحديثة، تأليف: جيمس كولينز، صـ ١٤٨ بتصرف، ترجمة فؤاد كامل، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة نيويورك، ١٩٧٣م.

أن يستخدم العقل في هذا الإثبات، والعقل أحياناً يستخدم قاعدة الاحتمال بين شيئين ليرجح أحدهما على الآخر عن طريق المنفعة العائدة علينا من خلال الاحتمالين.

فهو يستخدم المنهج التجريبي السائد في عصره حتى في إثباته لوجود الله تعالى، حيث يفترض الفروض ويختبر هذه الفروض حتى يصل إلى نتائج.

فهو بالنسبة للإلحاد يضعه بين فرضين لا ثالث لهما: إما أن يكون صحيحاً، وإما أن يكون باطلاً، وأيضاً بالنسبة لعقيدة الألوهية فهي أيضاً بين فرضين هما البطلان أو الصحة.

ثم أخذ ينقد هذه الفروض فلو كان الإلحاد صحيحاً فإنه يؤدي إلى فنائنا، أو إلى انعدام حساسيتنا إلى الأبد، فلا بعث ولا ثواب ولا عقاب.

أما إذا كان باطلاً؛ فاتباع هذا المذهب على بطلانه يؤدي إلى الشقاء الدائم والعقاب من الإله الذي تم إنكاره؛ لأنه في هذه الحالة سنحاسب من هذا الإله لأن هناك بعثاً وثواباً وعقاباً.

وأما بالنسبة إلى عقيدة الألوهية والإيمان بإله للكون صانع مدبر؛ فهذه العقيدة إن كانت صحيحة فإن هذا الإله سيجعلنا في سعادة دائمة، أما إذا كانت باطلة فإن هذا البطلان يؤدي إلي فنائنا.

وبالتالي؛ فإن أفضل ما يمكن أن يؤدي إلينا الإلحاد لا يفضل أسوء ما يمكن أن نتوقعه من الإيمان بإله للكون وهو الفناء التام.

أما قبول الإلحاد يجعلنا نجازف ونخاطر بفقدان السعادة الأبدية – أي السعادة في الآخرة–، وأن نظل في تعاسة أبدية.

فهذه النتيجة التي توصل إليها " لوك" وإن كانت احتمالية على وجود الله إلا أنها خليقة بشيء من الاعتبار مع العلم بأنها ليست حجة برهانية.

ومع ذلك فإن " لوك" وإن كان يعمل بقاعدة الاحتمال السائدة في الحياة

العملية، إلا أنه كان يعتقد أيضاً أن النقاط الأساسية في الأخلاق – على الأقل – قابلة للبرهان، ومن ثم، لم يكن قانعاً بهذه الحجة الاحتمالية وحدها على وجود الله(١).

لذلك نجده يبحث عن حجة برهانية على وجود الله، وهو ما نجح في الوصول إليه في نهاية الأمر.

الحجة البرهانية:

لم يقنع " لوك" بما سبق من دليل احتمالي، ولكنه استطاع أخيراً أن يضع خطاً للتدليل اعتبره برهانياً معادلاً في اليقين للبراهين الرياضية.

ويتضمن هذا الخط ثلاث نقاط رئيسة، لابد من وجود كائن أو جوهر منذ الأزل، وأن هذا الكائن الأزلي قدير قدرة شاملة، وعليم علماً كلياً، وهو لا مادى، هذا الكائن هو ما يسميه الناس الله.

ونقطة البداية في الاستدلال ينبغي أن تكون إما العالم المحسوس، وإما الذات نفسها، لأنهما نقطتا البداية الوجوديتان اللتان لا نملك غيرهما... وهو يؤثر أن يبدأ عادة بالحس الوجودي عن وجود الذات.

فأنا موجود، أو أنا شيء حقيقي، كما أن لي بداية أيضاً، أو خُلقت حقاً، كما تشهد بذلك حقيقة نقصى وإصلاحي المستمر، ومصدر خَلقي إما أن يكون العدم، أو نفسي، أو كائناً حقيقياً آخر.

ويري " لوك" أن العدم لا يستطيع أن ينتج كائناً حقيقياً، وفضلاً عن ذلك سبق أن أثبت ديكارت أنني لست صانعاً لنفسي، وإلا لأغدقت على نفسى كل ما يمكن أن أتصوره من كمالات المعرفة، والقدرة، والبقاء الأبدي، وهذا يسلمنا إلى القول بوجود كائن حقيقي هو مصدر وجودي.

(١) الله في الفلسفة الحديثة، تأليف: جيمس كولينز، صـ ١٤٨ بتصرف.

فإما أن يكون هذا الكائن قد ظهر بدوره إلى الوجود بفعل كائن آخر، أو أنه الكائن الذي يوجد منذ الأزل، ولكن ليس من الممكن أن توجد سلسلة لا تنتهى من الصانعين المصنوعين، وإلا قام مجموع الأشياء الواقعية على العدم المحض، أي أن الأشياء ما كان لها أن تأتي إلى الوجود منذ البداية، وأن تتمثل لتجربتي. ومن ثم لابد من وجود كائن أبدىّ أو صانع لوجودي ولعالم التجربة في آن واحد(١).

فلوك في هذا البرهان يثبت كائنا أو جوهرا، وهذا الكائن له من الصفات القدرة الكاملة والعلم الشامل، ويؤكد أن هذا الكائن غير مادي.

وهذه النتيجة من " لوك" يستدل عليها من خلال الذات أو النفس، وفضل لوك أن يبدأ بذلك؛ لأن هذه نقطة البداية الواضحة التي لا شك فيها: فأنا موجود لا شك في ذلك، وبالتالي لي حقيقة وبداية، وقد خلقت حقاً، والحقيقة تشهد بنقصي وإصلاحي المستمر.

وينتقل لوك إلي مصدر خَلقي فيفترض الفروض في هذا المصدر فهو إما: العدم، أو نفسي، أو كائناً آخر.

ويستبعد " لوك" ويرفض أن يكون العدم؛ فالعدم كما يري لوك لا يمكن أن ينتج كائناً حقيقياً. ويوافق لوك ديكارت في أنني لست صانعاً لنفسي؛ لأنني لو صنعت نفسي لأغدقت عليها من الكمالات الكثير بالمعرفة والقدرة والبقاء الأبدي...الخ والأمر خلاف ذلك.

وبالتالي؛ فإن الذي خلقني هو كائن حقيقي هو مصدر وجودي، وبالانتقال إلي هذا الكائن إما أن يكون قد ظهر إلى الوجود بفعل كائن آخر، أو أن هذا الكائن يوجد منذ الأزل، ويستبعد لوك أن توجد سلسلة لا تنتهي من الصانعين

(١) المرجع السابق، صـ ١٤٩ بتصرف.

المصنوعين، لأنه يؤدي إلى عدم وجود الأشياء أصلاً منذ البداية، ولا أن تتمثل لتجربتي ولا أن تخضع لها.

وبالتالي؛ لابد من وجود كائن أبدي أو صانع لوجودي ولعالم التجربة في آن واحد.

فـ" لوك" هنا يحاول إثبات وجود الله بالاستناد إلى ضرورة التسليم بوجود الأزلي القديم؛ استناداً إلى وجود الحادث المخلوق معلولاً له، فكل موجود حادث جزئي لا بد له من موجود قديم كلي خلقه(١).

فهنا " لوك" يبرهن من خلال نفسه على "سبب أول"، وانتهى إلى أن مثل هذه الخصائص لا بد أن تنسب أيضاً إلى الله، والله "عقل سرمدي خالد " .

وحينما شكا نقاد " لوك" من أنه أغفل بعض التعاليم الحيوية مثل خلود النفس والعذاب المقيم والنعيم المقيم، أجاب بأنه في الاعتراف بالمسيح ارتضى تعاليمه التي شملت تلك الآراء والتعاليم. ومن ثم خرج " لوك" من الباب الذي دخل منه(٢).

❖ تعقيب:

إذا نظرنا إلى هذا الدليل البرهاني الذي تمسك به " جون لوك " وغيره من الفلاسفة على وجود الله سبحانه وتعالى نجد أن القرآن الكريم والدين الإسلامي الموحى به من عند الله تعالى قد سجل هذا الاستدلال ووضحه بوحي من عند الله تعالى حيث يقول الله تعالى في معرض الرد على المشركين: {أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾} [سورة الطور:٣٥]، قال ابن عباس: من غير

---

(١) جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، للدكتورة راوية عبدالمنعم عباس، صـ ١٤٠، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٦م.

(٢) قصة الحضارة، ول ديورنت، (٦١/٣٤).

رب، ومعناه: أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق، وذلك مما لا يجوز أن يكون، لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فلا بد له من خالق.

فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق، أم هم الخالقون، لأنفسهم، وذلك في البطلان أشد، لأن ما لا وجود له كيف يخلق، فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً فليؤمنوا به، ذكر هذا المعنى أبو سليمان الخطابي، قال الزجاج: معناه أخلقوا باطلاً لا يحاسبون ولا يؤمرون؟ وقال ابن كيسان: أخلقوا عبثاً وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون، فهو كقول القائل: فعلت كذا وكذا من غير شيء، أي لغير شيء، أم هم الخالقون لأنفسهم فلا يجب عليهم لله أمر؟[1].

وقال الإمام الرازي: " وعلى قول من قال المراد منه أم خلقوا من غير شيء، أي من غير خالق ففيه ترتيب حسن أيضا وذلك لأن نفي الصانع:

– إما أن يكون بنفي كون العالم مخلوقاً فلا يكون ممكناً، وإما أن يكون ممكنا لكن الممكن لا يكون محتاجاً فيقع الممكن من غير مؤثر وكلاهما محال.

وأما قوله تعالى:{ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾} فمعناه أهم الخالقون للخلق فيعجز الخالق بكثرة العمل، فإن دأب الإنسان أنه يعيا بالخلق، فما قولهم أما خلقوا فلا يثبت لهم إله البتة، أم خلقوا وخفي عليهم وجه الخلق أم جعلوا الخالق مثلهم فنسبوا إليه العجز، ومثل قوله تعالى: {أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ } [سورة ق:١٥] هذا بالنسبة إلى الحشر، وأما بالنسبة إلى التوحيد فهو رد عليهم حيث قالوا:

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة ، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، ت: ٥١٠هـ، (٢٩٥/٤)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

الأمور مختلفة واختلاف الآثار يدل على اختلاف المؤثرات وقالوا: { أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥} [سورة ص:٥] فقال تعالى: { أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥} حيث لا يقدر الخباز على الخياطة والخياط على البناء وكل واحد يشغله شأن عن شأن"(١).

وبالتالي فإن هذا الاستدلال من " لوك" على وجود الله تعالى يتفق في أصله مع الاستدلال القرآني على وجود الله وإن كان " جون لوك " يري أنه استدلالاً برهانياً معادلاً في اليقين للبراهين الرياضية فإن القرآن الكريم وهو وحي من عند الله تعالى قد سبقه بهذا الاستدلال على وجود الرب سبحانه وتعالى.

ومما سبق يتضح: أن " لوك" كان من المؤمنين بالله ولم يكن ملحداً؛ فقد هاجم الإلحاد ورأي أنه يؤدي في حالة صحته إلي فنائنا وفي حالة بطلانه إلي وقوعنا في العذاب المقيم.

وأن الإيمان بالله تعالي وهو الطريق الأسلم للإنسان حتى وإن كانت صحته محتمله " فإن خير ما يمكن أن يحمله إلينا اختيار الإلحاد لا يفضل أسوأ ما يمكن أن نتوقعه من التسليم بالألوهية".

وقد أقام الحجة البرهانية بعد ذلك على وجود الله تعالي من خلال التسليم بوجود الأزلي القديم العلة في وجود الحادث المخلوق على نحو ما ذهب إليه.

وإذا كان معتنقو الدين الطبيعي يؤمنون جميعاً بوجود الله تعالى، ولكنهم يختلفون في مسألة كفاية الدين الطبيعي أو لابد من الحاجة للوحي بجانب

---

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ت: ٦٠٦هـ، (٢١٧/٢٨)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

العقل.

فما موقف " جون لوك" من قضية الوحي الإلهي حتى يتضح هل هو من القائلين بكفاية الدين الطبيعي وعدم الحاجة إلي الوحي أم لا؟

وهذا ما سأوضحه – بمشيئة الله تعالي– في النقطة الآتية.

موقف (لوك)من الوحي الإلهي

لم ينكر المحافظون العقليون الوحي بأي حال من الأحوال، فهم مع اتفاقهم مع المجددين على إمكان قيام الدين على العقل وحده، والوصول من خلاله إلى الإيمان بالله تعالي، إلا أنهم لم يقولوا بالاستغناء التام عن الوحي، ولعل من أشهر هؤلاء هو جون لوك.

فـ " جون لوك" وهو من المحافظين القائلين بالدين الطبيعي إلا أن هذا لا يعني أنه ينكر الوحي، فثمة فرق بين القول إن المسيحية تتفق منطقياً مع العقل، وبين القول بالاستغناء عنها والاكتفاء بالعقل فقط، ويقول لوك بالأول ويسخر جهده للاستدلال عليه(١).

وقد وضع " لوك" كتاباً دلل فيه على أن الوحي لا يتنافى مع العقل، وأن التوفيق بين الدين والفلسفة أمر ميسور، وأسماه " مسايرة المسيحية للعقل" وكان له صداه في الخلافات الدينية التي ثارت في القرن الذي تلاه(٢).

و" لوك" يقدم عن طريق العقل الدليل الذي من خلاله يمكن أن نقبل الوحي وذلك حين يحدد لنا المبادئ التي يجب أن يقبل الوحى على أساسها، حيث إن

---

(١) ينظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث١٦٠١ – ١٩٧٧م، لرونالد سترومبرج، صـ ١٧٦ بتصرف.

(٢) قصة النزاع بين الدين والفلسفة، للدكتور توفيق الطويل، صـ ٢٠٧.

الحقائق الدينية عنده تنقسم إلى أصناف ثلاثة؛ فقال:

" نستطيع بالاستناد إلى ما قيل من قبل في العقل أن نتكهن عن التمييز بين الأشياء الموافقة للعقل، والأشياء التي تعلو عليه، والأشياء التي تناقضه:

فالأشياء الموافقة للعقل هي القضايا التي نستطيع كشف حقائقها بأن نفحص ونستقصى تلك الأفكار التي تتولد لدينا من الإحساس والتأمل، والتي نجدها باستنتاج طبيعي صحيحة أو راجحة.

والأشياء التي تعلو على العقل هي تلك القضايا التي لا نستطيع اشتقاق صحتها أو رجحانها من تلك المبادئ.

أما القضايا التي تناقض العقل، فهي تلك التي تناقض أفكارنا البينة والواضحة أو لا تتفق معها.

وهكذا؛ فإن القول بوجود إله واحد يتفق مع العقل. والقول بوجود أكثر من إله واحد مناقض للعقل. والقول ببعث الأموات يعلو عن العقل.

والفصيلة الأولى: تكون الدين الطبيعي. والثانية: تكون الأوهام. والثالثة: تكون الوحى"[١].

فـ " لوك" هنا وهو يمثل المحافظين العقليين يري أن الدين الطبيعي قضايا يمكن الكشف عن حقائقها عن طريق التأمل والإحساس بها ويمكن بالاستنتاج الطبيعي إثبات صحتها أو رجحانها من خلال المبادئ العقلية.

لكن ليست كل القضايا يمكن إثباتها عن طريق التأمل والاستنتاج العقلي؛ فهناك قضايا تعلو عن العقل لا يمكن إثباتها به، مثل بعث الأموات فـ " لوك" يري أنه من الأمور التي تعلو عن مرتبة العقل؛ فالعقل وحده لا يمكنه الوصول إليها وإثباتها، بل لابد من وحي إلهي يقيم اليقين على صحة تلك القضية.

---

(١) تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، صـ ٤٤١.

أما كل ما يخالف العقل ويناقضه فلا يمكن قبوله بأي شكل من الأشكال؛ لأنه حين يناقض العقل فهذا يعنى أن الوحي لا يمكن أن يكون أتى به.

لكن هل معنى ذلك أن الوحي والدين الطبيعي مختلفان أو بينهما أي نوع من الانفصال؟ الحقيقة أن " لوك" لم يفصل بأي حال من الأحوال بين الدين الطبيعي أو قانون الطبيعة والوحي؛ بل جعلهما شيئاً واحداً أو قانوناً واحداً.

فهو يحدد أولاً قانون الطبيعة وذلك من خلال عنوان الرسالة الأولى من رسائل قانون الطبيعة أنه قاعدة للأخلاق، ويسأل: "هل يوجد قانون للطبيعة أو قاعدة للأخلاق معطاة لنا؟ والإجابة: نعم.

بينما في كتابه "بحث في الفهم الإنساني" يحدد القوانين الأخلاقية التي يسلك وفقاً لها، وبها نحكم على الأفعال الأخلاقية إذا كانت خطيئة أو واجباً، خيراً أو شراً، فضيلة أو رذيلة، جريمة أو شريفة. هذه القوانين هي بالنسبة للوك أربعة أنواع ولكنه يضعها تحت مسميات ثلاثة؛ حيث يضم القانون الطبيعي والوحي الإلهي تحت مسمى واحد هو القانون الإلهي"[١].

وهذا ما يؤكده تلميذ " لوك جون" " تولاند" في كتابه " المسيحية ليست سراً": أن الدين الطبيعي والوحي يشكلان في الحقيقة فصيلة واحدة؛ فالحقائق المعقولة يمكن أن نكشفها نحن لأنفسنا، ويمكن أن نعرفها بشهادة الآخرين، وهذه الشهادة قد تصلنا عن طريق الوحى[٢].

فـ " لوك" هنا يرى أن مصدر الأخلاق والفضائل هو القانون الإلهي الذي يشمل الدين الطبيعي والوحي معاً، وبالتالي فإن الدين الطبيعي والوحي يشكلان في الحقيقة شيئاً واحداً.

---

(١) الدين والسياسة في فلسفة الحداثة، د/ فريال حسن خليفة، صـ ٢٥.

(٢) ينظر: تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، صـ ٤٤٢ بتصرف.

إذاً " لوك" يري أن القانون الإلهي هو الدين الطبيعي أو الوحي الإلهي؛ فالقانون الإلهي يعرفه لوك بأنه: " هو الذي شرعه الله معياراً لأفعال البشر بالخطيئة أو الواجب، ويعرفه البشر عن طريقين:

الأول: الوحي الإلهي.

الثاني: نور الطبيعة.

وما نعرفه بالوحي الإلهي هو الكتاب المقدس الذي هو رسالة السماء، وما نعرفه بنور الطبيعة هو قانون الطبيعة.

ونور الطبيعة أعم عند لوك من الكتاب المقدس؛ لأن الوحي الإلهي هو قانون من يؤمنون به فقط، بينما قانون الطبيعة لكل البشر في كل زمان ومكان، قانون يبرره العقل. إلا أن قانون الطبيعة وقانون الوحي كلاهما تعبير عن الإرادة الإلهية"[١].

وهنا " لوك" يؤكد على أن القانون الإلهي هو معيار الأخلاق، وهذا القانون لا يُعرف إلا بالوحي أو بقانون الطبيعة، ولكن لوك يجعل قانون الطبيعة أعم من الوحي؛ لأن الوحي لا يكون ملزماً إلا لمن يؤمن به أما قانون الطبيعة فهو عام بين جميع البشر في كل زمان ومكان لا يختلف باختلافهما، وهنا نجده يبحث عن المبادئ الأخلاقية المشتركة بين جميع البشر من يؤمن بالكتاب المقدس وبين من لا يؤمن به.

و" لوك" يجعل العلاقة بين الدين الطبيعي والوحي علاقة تكامل وترابط ولا يمكن الفصل بينهما؛ فقد جعلهما معاً قانوناً إلهياً الذي هو معيار لأفعال البشر، والذي يتوصل إليه البشر عن طريق أحدهما وهما معاً يعبران عن الإرادة الإلهية.

---

(١) الدين والسياسة في فلسفة الحداثة، د/ فريال حسن خليفة، صـ ٢٧.

ويزيد " لوك" موقف المحافظين توضيحاً ببيانه أن قانون الطبيعة أوامر إلهية، ليست حقائق مطبوعة علي العقل عند البشر. ويري أن: قانون الطبيعة، قاعدة أبدية لكل البشر؛ فهو قانون غير مكتوب ولا يوجد في أي مكان آخر إلا في عقول البشر.

إنه قانون أعطاه الله للإنسان ليكون قاعدة بين الإنسان والإنسان. بل إن القواعد التي يضعها المشرعون من أجل أفعال البشر يجب أن تكون متوافقة مع قانون الطبيعة(١).

وبالتالي؛ فإن " لوك" يري أن القول بالدين الطبيعي أو بالقانون الطبيعي يبنى أساساً على افتراض القول بوجود الله؛ لأن الله هو الذي أمدنا بالقانون الطبيعي أصلاً، ومع ذلك فإن هذا الفرض الميتافيزيقي ليس مجرد اعتقادٍ إيمانيٍّ بل هو قائم على العقل؛ فالنظر في مجرى الطبيعة الثابت يمدنا بدليل يعادل المعجزات في الماضي، فالوجود الإلهي يشرف على العالم في نظام ثابت، وبإرادته يكون لكل الموجودات قوانينها الخاصة. وهي قواعد تحكم عالم الطبيعة والموجودات الحية، ولا يمكن أن يكون الإنسان مستثني منها، والقواعد الخاصة بالإنسان هي قانون الطبيعة(٢).

فالقانون الإلهي الذي تلقاه البشر من الله هو قاعدة ليحيوا بها، فمن حيث هو معروف بنور الطبيعة هو قانون الطبيعة، ومن حيث هو وحي إلهي هو قانون إلهي، وكلاهما قانونان أخلاقيان؛ لأن مضمونهما واحد بعينه، والاختلاف فقط في أسلوب معرفتنا بهما أي أسلوب نشرهما وذيوعهما بين البشر.

هذا يعني أن الواجب الأخلاقي عند " لوك" هو من جهة كونه وصية أو

---

(١) المرجع السابق، صـ ٣٠.

(٢) المرجع السابق، صـ ٢٨ بتصرف.

أمر إلهي هو وحي إلهى، بينما هو من جهة أخرى إلزام عقلي، هو قانون الطبيعة ندركه بنور الطبيعة، أي من خلال ملكاتنا وقدراتنا الطبيعية، فقانون الطبيعة والإلزام وجود واحد بعينه [١].

موقف لوك من المعجزات

هذا هو موقف المحافظين من فلاسفة القرن الثامن عشر من الوحى وتمسكهم بالوحى بجانب ديانة العقل أو الديانة الطبيعية، لكن كان على هؤلاء الفلاسفة أن يثبتوا أمرين من أجل تأييد الوحي:

أولاً: إقامة الدليل على أن الوحي ليس منافياً للديانة الطبيعية، أي أنه معقول في ذاته ومتفق مع الأخلاق الطبيعية.

ثانياً: أن هنالك أسسًا قوية للاعتقاد بالوحي المسيحي بالذات.

وهذان الأمران في الأساس يعودان إلى نوعين من الأدلة في هذا المقام هما النبوة والمعجزة.

وقد تولى " لوك" وغيره من المحافظين هذه المهمة ولكنها لم تكن مهمة هينة؛ فقد استمرت النزعة اللاهوتية مسيطرة على الأفق العقلي حتى بعد عصر النهضة الأوربية، فقد كانت المشكلة الأساسية في القرن السابع عشر هي كيفية تبرير الموقف الديني عقلياً[٢].

ولذلك؛ فإن " لوك" يُبين أهمية المعجزة بالنسبة للبشر؛ فيري " أن الكثير من المعجزات التي تحققت على يديه (المسيح)، وبقدرته إنما تلعب دوراً مهما في حياة البشر الذين استفادوا منها وحلت عليهم بركته، فالمعجزات التي قام بها المسيح تعد

---

(١) المرجع السابق، صـ ٣١.

(٢) ينظر: جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، للدكتورة راوية عبدالمنعم عباس، صـ ١٤٥بتصرف.

من قبيل الحكمة التي لا يستطيع أن ينكرها لا أعداء المسيحية ولا أتباعها.

ومن جهة أخرى فإن هذه المعجزات إنما تدل على وجود الرب الذي يباركها ويحققها بفضل قدرته، ذلك الرب الذي أشعر به وأجده حولي في يسر وسهولة"[١].

فـ " لوك" هنا يستدل بالمعجزة على إثبات وجود الله تعالى وأنها إنما تقع بقدرة الله، وأيضاً فإن لوك يرى أن المعجزة ليست فقط دليلاً على نبوة من جاء بها بل إنها أيضاً كانت غير مناقضة للعقل وتتفق معه أتم اتفاق.

ويري " جون لوك" أن معجزات المسيح والرؤيا أو التنبؤات التي قبلها العقل، لم يتناقض معها مطلقاً بل صدقها من الوهلة الأولى؛ لقيامها على الواقع، واستنادها إلى العقل، وبعدها عن الخيال. وهكذا تبدو معقولية المسيحية، وهذا بالفعل ما يؤكده الجانب الأخلاقي المستمد من النور الطبيعي (الفطري) الموجود داخل كل منا[٢].

إذاً " لوك" يوضح أن الوحي ليس منافياً للديانة الطبيعية، أي أنه معقول في ذاته ومتفق مع الأخلاق الطبيعية، ويؤكد على أن معجزات المسيح تقوم على الواقع ولا تناقض العقل وتبعد كل البعد عن الخيال.

ويوضح " لوك" أهمية الدين الطبيعي...، كما يبين مراحل تطوره وكيف تعسر في دوره منذ البداية، بيد أنه استطاع بعد ذلك أن يضع أسس الأخلاق التي توضح هذا النور الإلهي بعيداً عن السوقة الذين عجزوا عن تلمس هذا النور على وجه الأرض بواسطة قدرة الله وسلطانه الذي يشعر به الجميع.

وعلى هذا النحو يصبح القانون الطبيعي هو الملك أو المشرع الأساسي

---

(١) المرجع السابق، صـ ١٥٦.

(٢) المرجع السابق، صـ ١٦٣.

للقانون الذي يشير إليهم بواجباتهم ويدفعهم إلى التزام الطاعة التي يقبلها الله.

ثم ذهب " لوك" بعد ذلك يبرهن على معقولية المسيحية من خلال برهنته على واقعية النبوات واستنادها إلى العقل(١).

فهو يؤكد على أن الوحي ليس منافياً للديانة الطبيعية، أي أنه معقول في ذاته ومتفق مع الأخلاق الطبيعية، وخاصة الوحي الذي جاء به المسيح.

ويذهب " لوك" في كتابه " معقولية المسيحية"، إلى أن الوحى المسيحي ... يمكن إثباته على أساس هذه المقاييس، وقد كان هذا الوحي ضرورياً؛ لأنه بالرغم من مقدرة العقل على أن يقود إليه، إلا أن الناس قد فقدوا معرفة الديانة الطبيعية(٢).

ومن هنا يمكننا القول: إن " جون لوك" يري أن الوحي الذي جاء به المسيح يتفق تماماً مع العقل ولا يمكن إنكاره بأي حالٍ؛ والمعجزات التي جاء بها المسيح بعيدة كل البعد عن الخيال، وبهذا يثبت أن المسيحية ديانة معقولة تتفق مع العقل، وهي بدورها تتفق مع الدين الطبيعي الذي مدنا بالأخلاق ذاتها.

وبالتالي فإن الدين الطبيعي والوحي المسيحي يضعان الأخلاق المعقولة بعيداً عن السوقة والعامة الذين عجزوا عن إدراك نور الله وقدرته الذي يشعر به الجميع.

ومع اتفاق الوحي والديانة الطبيعية في كونهما معقولين، لكن ليس معنى ذلك أننا يمكننا الاستغناء بالدين الطبيعي عن الوحي، بل إنه يؤكد على أهمية الوحي وضروريته للبشر، لأنه بالرغم من مقدرة العقل للوصول للقانون الطبيعي، إلا أن الناس فقدوا معرفة هذه الديانة.

---

(١)المرجع السابق، صـ ١٦٤ بتصرف.

(٢) تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، صـ ٤٤٣ بتصرف.

❖ **تعقيب:**

ومما سبق يمكننا أن نضع موقف " لوك " من الدين الطبيعي في ميزان النقد القائم على بيان الموقف الحقيقي لجون لوك من الله والنبوة أو الوحي والأخلاق.

فمع اختلاف البعض حول نسبته للدين الطبيعي أو لا؛ فإن " جون لوك " يعد من أبرز القائلين بالدين الطبيعي؛ فقد وضع الدين تحت مجهر المنهج التجريبي السائد في القرن الثامن عشر وبين أنه لا يمكن أن يكون هناك عقيدة دينية من الممكن أن تناقض العقل فكل ما جاء به المسيح حق يؤمن به، وما ناقض العقل مما نادت به الكنيسة من العقيدة فيرفض " جون لوك " أن يكون هذا وحي أصلاً تكلم عنه المسيح.

ورأى " جون لوك " أن الإنسان يمكنه الوصول إلى العقائد الإيمانية عن طريق العقل، وتمسك بالوحى تمسكاً تاماً وهو وإن كان يؤمن بالوحي إلا أنه يُنقح هذا الوحي عن طريق العقل، ويُبين ما يناقض العقل ويرفضه، وما يتفق مع العقل يؤمن به ويوضحه.

ورأى " لوك" أنه على الرغم من مقدرة العقل على الوصول للدين ومبادئ الوحي إلا أن الناس فقدوا معرفة الديانة الطبيعية؛ وبالتالي لابد من التمسك بالوحي.

<u>فبداية وجود الله</u> وهي من المبادئ أو العقائد المشتركة بين القائلين بالدين الطبيعي، فإن جون لوك تعامل مع إثبات وجود الله تعالى بمنهج عقلي بحت، فأراد لوك أن يجعل عقيدة الألوهية راسخة في العقل لا يزعزعها أي تيار إلحادي أو غيره.

وقد استدل " جون لوك" على وجود الله تعالى بدليلين: أحدهما احتمالي، والآخر برهاني مستخدماً فيهما المنهج التجريبي القائم على فرض الفروض واختبارها واختيار الصحيح منها؛ فهو في الدليل الاحتمالي قارن بين الإلحاد

ونتائجه وبين الإيمان بالله وما ينتج عنه وقارن بين النتيجتين ووصل لنتيجة حتمية: أنَّ أفضل ما يمكن أن يؤدي إلينا الإلحاد لا يفضل أسوء ما يمكن أن نتوقعه من الإيمان بإله للكون وهو الفناء التام.

ومع ذلك فإن " جون لوك " لم يقنع بهذا الدليل وأخذ يبحث عن حجة برهانية على وجود الله، وهو ما نجح في الوصول إليه في نهاية الأمر.

فقد وجد " جون لوك " ضالته بالاستدلال على وجود الله تعالى من خلال النفس أو العالم من حوله، مع اعتقاده أن العدم يستحيل أن ينتج كائناً حقيقياً، وهنا إما أن أكون خرجت بنفسي من العدم إلى الوجود – وهذا ظاهر البطلان وإلا لأغدقت على نفسى كل ما يمكن أن أتصوره من كمالات المعرفة وغيرها– وإما أن يكون هناك خالق، وهذا الخالق إما أن يكون قد ظهر إلى الوجود بفعل كائن آخر، أو أن هذا الكائن يوجد منذ الأزل.

فبرهن من خلال نفسه على سبب أول هو الله تعالى، وأثبت لله تعالى من الصفات القدرة الكاملة والعلم الشامل، ويؤكد أنه غير مادي.

و " جون لوك " في هذا الاستدلال على وجود الله يرد بنفسه على من ينسبه إلى الإلحاد أو يتهمه بأنه:" أساء إلى الدين القويم" إلى حد أن مائة من المدافعين عن الديانة هاجموه بتهمة أنه أيد "في طيش وتهور" آراء الملحدين، ولم يلقوا بالاً لاحترامه وإجلاله للوحي."[١].

فقد كان الهم الأول لـ " جون لوك " أن " يضع المقاييس والحدود بين العقيدة والعقل "، وعمد إلى تحقيق هذا في الفصل الثامن عشر من الباب الرابع من المقال، حيث يقول:" إني أجد كل شيعة تحاول جهدها، بقدر ما يسعفها العقل، أن تفيد منه عن طيب خاطر، وحيثما يخفق العقل تصرخ وتصيح بأعلى

(١) قصة الحضارة، ول ديورنت، (٣٤/٥٨).

صوت: تلك مسألة إيمان وعقيدة فوق العقل"[١].

فـ " لوك " ينتقد بهدوء الكنيسة وسلطتها بل إنه في نقده هذا يتناول أيضاً بعض التجريبيين وغيرهم بأن جميع الأطراف تستخدم العقل حتى إذا أخفق العقل في تقبل عقيدة من العقائد وأخفق في الاستدلال عليها ينادي كل طرف بأن هذه العقيدة فوق العقل وبالتالي يجب تقبلها دون تفكر أو تأمل.

و" لوك" وإن كان من المحافظين الذين يؤمنون بالدين الطبيعي إلا أنه لا ينكر الوحي وأهميته ولا ينكر أن هناك من العقائد ما يعلو العقل كما سبق بيانه لكن ثمة فرق بين ما يعلو عن العقل كأمور البعث والغيبيات وبين ما يناقض العقل كعقيدة التثليث وصكوك الغفران فإن القول بأكثر من إله يناقض عقيدة التوحيد التي تتفق مع العقل لكن الكنيسة تريد أن تجعل هذه العقائد من النوع الذي يعلو العقل لكي يعتنقها المسيحي دون تعقل أو تدبر.

ولذلك فهو يضع قاعدة يقينية بأن " كل ما أوحى به الله حق على وجه اليقين "، ولكنه في الوقت ذاته يري أن التأمل وحده في الدليل المتاح هو الذي ينبئنا إذا كانت الأسفار المقدسة هي كلمة الله، وأنه " ليس ثمة قضية يمكن تقبلها على أنها وحي إلهي، إذا كانت تناقض معرفتنا الأكيدة البديهية "[٢].

فـ " لوك" يريد أن يضع الوحي الإلهي تحت ميزان العقل والدليل العقل فما قام عليه الدليل العقل يقبل على أنه وحي وما خالف الدليل العقل لا يمكن أن يكون وحياً حتى وإن كان مدوناً ومذكوراً في الكتب المقدسة، وذلك مع تأكيده على أن هناك نوعًا من العقائد يعلو عن العقل، وذلك فإن لوك يخلص إلى القول: "ليس هناك شيء يناقض أوامر العقل الواضحة البديهية أو لا يلتئم

---

(١) المرجع السابق، (٦٠/٣٤).

(٢) المرجع السابق، (٦٠/٣٤ بتصرف).

معها، يحق له أن يشجع أو يؤكد على أنه مسألة عقيدة لا دخل للعقل فيها"[١].

ويري أن الوحي المسيحي معقول في ذاته ويمكن إثباته بالأسس والمبادئ العقلية، فهو يتفق مع العقل والدين الطبيعي، لكن ليس معنى ذلك أننا يمكننا الاستغناء بالدين الطبيعي عن الوحي، بل إنه يؤكد على أهمية الوحي وضروريته للبشر، لأنه بالرغم من مقدرة العقل للوصول للقانون الطبيعي، إلا أن الناس فقدوا معرفة هذه الديانة.

وبناء على ذلك فإن " لوك" يري أن الأخلاق مصدرها الحقيقي هو الدين الطبيعي والوحي معاً وهما يشكلان معاً في الحقيقة شيئاً واحداً هو القانون الإلهي وهذا القانون هو الذي شرعه الله معياراً لأفعال البشر بالخطيئة أو الواجب، ويعرفه البشر عن طريقين هما الوحي ونور الطبيعة الذي هو قانون الطبيعة.

وأما بالنسبة للمعجزة فـ " لوك" يؤكد على أهميتها وأنها – أي معجزات المسيح– لعبت دوراً مهمًا في حياة البشر الذين استفادوا منها وحلت عليهم بركته، فالمعجزات التي قام بها المسيح لا يمكن أن ينكرها أحد، بل إنه أكد على أن المعجزة دليل على وجود الله الذي وقعت بقدرته.

وحينما شكا نقاد " لوك" من أنه أغفل بعض التعاليم الحيوية مثل خلود النفس والعذاب المقيم والنعيم المقيم، أجاب بأنه في الاعتراف بالمسيح ارتضى تعاليمه التي شملت تلك الآراء والتعاليم. ومن ثم خرج لوك من الباب الذي دخل منه[٢].

فلوك هنا يؤكد أن الإيمان بهذه العقائد يتبع بديهة الإيمان بالمسيح لأن هذه

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورنت، (٣٤/٦٠ بتصرف).

(٢) المرجع السابق، (٣٤/٦١).

العقائد من التعاليم التي جاء بها.

ويضع الدين تحت مجهر العقل؛ لتنقيحه والفصل بين هوى الكنيسة وسلطتها وبين العقائد التي جاء بها الوحي ليجعل المسيحية ديانة معقولة يقبلها العقل ويقيم عليها الدليل.

ورفض ما تقوله الكنيسة بالاعتقاد دون تفكير أو مبدأ " اعصم عينيك واتبعني " لأن الوحى لا يمكن أن يكون مناقضاً للعقل بأي حال من الأحوال.

وإذا كان هذا المبدأ هو الذي فتح الباب لـ"جون لوك" وغيره من الفلاسفة إلى نقد الوحي أو حتى إلي إنكاره فإن هذا لأن يد الكنيسة تدخلت لتفرض أموراً على أتباعها على أنها وحي من الله تعالى والعقل ينكرها إنكاراً تاماً.

وهذا بخلاف الإسلام الذي دعا في أكثر من آية إلي التفكر قبل الاعتقاد والقرآن الكريم وهو وحي إلهي به الكثير من الآيات التي تدعو المسلم إلى التفكر قبل الاعتقاد، مثل قول الله تعالى: {قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١} [سورة يونس:١٠١] وقوله تعالى: {قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠} [سورة العنكبوت:٢٠].

وعلماء الكلام على أن أول واجب على المكلف النظر فهو وسيلة معرفة الله تعالى وما أمر به من عقائد.

ولا ينكر أحدٌ أن هناك في المسيحية عقائد تحتاج إلي ميزان العقل الذي نادى به " جون لوك" بل إن هناك من الأمور التي كانت محل فرض من الكنيسة ولا دخل للوحي الإلهي بها، إلا أن هذا كله لا يمنع أيضاً أن " جون لوك " قد بالغ في استخدام العقل حتى فتح الباب لمن بعده إلى إنكار الوحي تماماً مثلما سنرى عند " فولتير".

المبحث الثالث
المطلب الأول ترجمة فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨)

هو "فرانسوا ماري آريو" ، الملقب بـ " فولتير" [١] وقد ولد بباريس في ٢١ نوفمبر ١٦٩٤م، وأصبح خلاصتها المصفاة حتى ١٧٧٨م.

أما أبوه، واسمه فرانسوا آرويه، فكان محامياً ميسور الحال، فقد ترك منصبه ككاتب عدل قبل عامين من ميلاد ابنه الثالث فولتير، وبالتالي عمل محامياً بعد ذلك.

وأما أمه، ماري مارجريت دومار، فكان يجري في عروقها قدر طفيف من الدم النبيل، وكانت ابنة موظف في "البرلمان" وأخت المراقب العام للحرس الملكي، ومن طريقهما استطاعت الوصول إلى بلاط لويس الرابع عشر، وماتت أمه في الأربعين وهو لم يجاوز السابعة.

وكان أكبر أبنائها الخمسة أرمان، الذي كان غيوراً على لاهوت اليانسنيين- وهو مذهب لاهوتي يقول بفقدان حرية الإرادة وبأن الخلاص عن طريق موت المسيح قاصر على فئة قليلة وهو موقف أخلاقي سلبي صارم- حريصاً على ميراث الأسرة.

أما فولتير فقد ولد ضعيف البنيان فكان معتلاً في عامه الأول، حتى أن أحداً لم يصدق أن ستكتب له الحياة. وقد ظل حتى الرابعة والثمانين يتوقع موته المبكر ويذيعه على الناس[٢].

درس وهو صبي في كلية اليسوعيين لوي لوجران في باريس. أدخل إلي

---

(١) ينظر: رسائل فولتير،صـ١٨، تقديم: جون لاي، ترجمة: عادل زعيتر، دار التنوير، ط: الأولى، ٢٠١٤.

(٢) قصة الحضارة، (٣٥ /٩ بتصرف).

سجن الباستيل عام ١٧١٧م، وأقام به أحد عشر شهراً. ثم أدخل مرة أخرى عام ١٧٢٥م، وبحث عبثاً عن دعم له بين أصدقائه الأرستقراطيين فنفي إلى إنجلترا(١).

ذهب إلى إنجلترا عام ١٧٢٦م، ومكث بها حتى عام ١٧٢٩م، وأثناء هذه الإقامة في إنجلترا تعرف كتابات لوك ونيوتن وتكون لديه هذا الإعجاب بالحرية النسبية في الحياة الإنجليزية كما يتضح في الخطابات الفلسفية(٢).

كان فولتير فيلسوفاً وكاتب مسرحيات وشاعراً ومؤرخاً وروائياً(٣)، ومع أنه لم يتخذ الفلسفة مهنة له ولم يستعمل مصطلحاتها أداة لتعبيره، إلا أن البعض يعده من أعظم الفلاسفة على الإطلاق، ومن أوسعهم أثراً، ومع ذلك؛ فإنه يوضع دائماً كجزء من تاريخ الأدب الفرنسي في القرن الثامن عشر، أكثر مما يوضع في تاريخ الفلسفة الحديثة(٤).

وهناك من ينسب له الفضل في نشر الفكر الفلسفي في عصره من خلال مسرحياته؛ حيث أنزل الفلسفة للجمهور من خلال أعماله الأدبية، فقد ورد في «المراسلات الأدبية، للكاتب" غريم" في آب ١٧٥٤م: " وإذا كان التفكير الفلسفي قد انتشر وعم في عصرنا هذا أكثر منه في عصر آخر، فإننا مدينون بذلك إلى فولتير أكثر مما نحن مدينون لأمثال مونتسكيو وبوفون وديدرو ودالمبير: ففولتير إذ نشر الفلسفة في مسرحياته وفي كل كتاباته، خلق تذوق الفلسفة عند الجمهور،

---

(١) فلسفة الأنوار، فولجين، صـ ٢٥.

(٢) تاريخ الفلسفة، لفريدريك كوبلستون (٤٢/٦).

(٣) المرجع السابق، (٤٣/٦).

(٤) في الفكر الغربي المعاصر، د/ حسن حنفي، صـ ٨٥ بتصرف، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط: الرابعة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

وجعل الجماعات تحس بقيمها وتلتذ بآثار الكتاب الفلسفيين الآخرين". وهذه شهادة تضع فولتير في مصاف الفلاسفة الذين يعتد بهم(١).

وفي آذار من عام ١٧٧٨م أصيب ببرد أثناء زيارته إلى باريس وتوفي في ليلة ٢٠-٢١ من الشهر ذاته(٢).

مؤلفاته

كان لفولتير مؤلفات كثيرة في فنون كثيرة، بلغت حوالى سبعين مجلداً إلا أن ما يتعلق بالفلسفة منهاما يأتي:

في عام ١٧٥٦م ظهر كتابه المهم مقال عن الأعراف، وظهرت قصة كانديد عام ١٧٥٩م، ومقالة عن التسامح عام ١٧٦٣م (٣).

والقاموس الفلسفي عام ١٧٦٤ ، ويعتبر القاموس الفلسفي من أهم أعمال فولتير التاريخية والأدبية والفلسفية إذ إنه يعتبر بحق قمة ما وصل إليه عصر التنوير من تقدم فكري وحضاري(٤).

والفيلسوف الجاهل عام ١٧٦٦، وكتاب عن بولنجروك عام ١٧٦٧، ومهنة الإيمان لدى المؤمنين عام ١٧٩٨.

وفي طبعة بوشو Beuchon أعوام ١٨٢٩ ١٨٣٤ تشتمل أعماله على حوالي سبعين مجلداً(٥).

وهذه الأعمال تدل دلالة واضحة على مكانة فولتير في الفكر الفلسفي الحديث.

---

(١) فولتير حياته- آثاره- فلسفته، لأندريه كريسون، صـ ٤٢.

(٢) المرجع السابق، صـ ٤٠ بتصرف.

(٣) تاريخ الفلسفة، لفريدريك كوبلستون (٤٣/٦ بتصرف).

(٤) فولتير حياته- آثاره- فلسفته، لأندريه كريسون، صـ ٤٠ بتصرف.

(٥) تاريخ الفلسفة، لفريدريك كوبلستون (٤٣/٦ بتصرف).

المطلب الثاني
موقف فولتير من الديانة الطبيعية

ذكرت فيما سبق أن أصحاب الدين الطبيعي أو ديانة العقل كان ما يجمعهم هو الإيمان بوجود الله تعالى، وأنهم إنما اختلفوا في هل العقل وحده، وبدون أن يكون في حاجة إلى وحي أو إلهام، قادر على قيادتنا إلى الفهم الصحيح للدين والأخلاق؟

ووضحت موقف لوك من هذه القضية ورأينا كيف دافع عن الوحي المسيحي وبين أدلة صحة هذا الوحى ووجه الحاجة إليه.

وهنا – بمشيئة الله تعالى– نوضح موقف فولتير من الديانة الطبيعية، وذلك من خلال بيان موقفه من وجود الله تعالى، وموقفه من الوحى الإلهي والأخلاق.

بداية يثبت فولتير من خلال البرهان العقلي القطعي أن العقل يمكنه إثبات وجود الله تعالى بشكل قطعي، ولا شك في وجوده تعالى لدى فولتير، حيث عمل على إثبات الإله بالدليل والبرهان العقلي.

أدلة فولتير على وجود الله تعالى:

وإذا بحثنا عن أدلة فولتير التي يستدل بها على وجود الله تعالى، ففولتير وهو كغيره من فلاسفة عصره متأثراً بآلة العلم التي نادى بها نيوتن، القائمة على إثبات وجود الله تعالى بالعقل، حيث إنه كان يري في العالم آلة لا يسبب الزمن أي تغير في تركيبها، وفي مثل هذا العلم النيوتوني لم تكن أدلة دعاة الديانة الطبيعية أدلة معقولة فحسب، بل كانت فرضيات علمية أصيلة قائمة على المنهج التجريبي– على نحو ما ذهبوا إليه–.

لكنها لم تكن من الأدلة التي كان في استطاعتها أن تجذب العصور السابقة، أو تجذب القرن التاسع عشر بعد ما جرى على العلم فيه من تغير، بل

كانت ممكنة فقط في العالم النيوتوني وبدت فيه وكأنها تفرض ذاتها فرضاً على عقول الناس(١).

وقد قال باسكال من قبل: " إنه ليس في الإمكان أن نعرف وجود الله بالعقل"، ولكن فولتير يبدي دهشة من هذا القول فهل في الإمكان أن يجد باسكال نفسه عاجزاً عن إثبات وجود الله؟

ولكن نيوتن – الذي تأثر به فولتير – لا يقع في مثل هذا الخطأ الذي وقع فيه بسكال، وبناء عليه؛ فإن فولتير يفرق بين القس الذي يعلم الأولاد أن الله موجود وبين نيوتن الذي يثبت وجوده لذوي الألباب، ويقول فولتير في ذلك: « إن القس يعلم الأولاد أن الله موجود، ولكن نيوتن يثبت وجوده لذوي الألباب؛ فإن فولتير يرى أن العقل يتوصل، في هذا المجال، إلى إثباتات قاطعة(٢).

فهو يقارن بين طريق القس أو الكنيسة في إثبات وجود الله تعالى وبين نيوتن الذي تأثر فولتير بل وفلاسفة العصر بفلسفته، فإن طريقة القس أو الكنيسة على ما يراها فولتير إنما تناسب العامة ومنهم الأطفال الصغار فالكنيسة تقول: إن الله موجود وربما يكون ذلك دون إثبات وجوده، أو حتى بإثبات يناسب الأولاد والعامة.

أما طريقة نيوتن فإنها تثبت لذوي الألباب من المفكرين وجود الله تعالى بأدلة عقلية يقينية على ما يراه فولتير، وهذا يُشعر بأن هذه الأدلة للخاصة من الفلاسفة والمفكرين وليست للعامة من الناس.

وبالتالي؛ فإن فولتير لا يشك في وجود الله تعالى ويقيم الأدلة العقلية على وجود الله تعالى، وهذه الأدلة يمكن حصرها في دليلين اثنين هما:

---

(١) تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، (٤٥٠/١ بتصرف).

(٢) فولتير حياته– آثاره– فلسفته، لأندريه كريسون،، صـ ٦٠ بتصرف.

الأول: دليل العلة الأولى.

والثاني: دليل هندسة العالم[١].

الدليل الأول لفولتير وهو دليل العلة الأولى:

فالدليل الأول، قائم على مبدأ العلاقة بين المخلوق وبين الخالق، فهو يقول: " أنا موجود، ومن ذلك استنتج: ثمة شيء موجود منذ الأزل، ذلك أنه « إذا لم يكن ثمة شيء موجود منذ الأزل، فإن كل شيء ناتج عن العدم وليس لوجودنا سبب مطلقاً، وهذا تناقض لا يقبله العقل.

فإذا وجد شيء، كان له سبب، وهذا السبب له سبب بدوره وهكذا دواليك، وبالتالي فلابد أن يكون الشيء الذي يتلقى من الموجود الأخير وجوده هو الله ضرورة.

لأنه إذا لم يوجد سبب أول لم نستطع أن نفسر شيئاً مطلقاً، فأنا إذن مضطر إلى أن أعترف بوجود كائن واجب الوجود منذ الأزل وهو أصل كل الكائنات حسناً.

ولكن هذا الكائن، أليس هو المادة ؟ ويجيب فولتير: لا، لأسباب كثيرة منها: أن الحركة والفكر والذكاء غير لازمي الوجود؛ ولذا وجب أن يكونا من لواحق المادة، فهل كان في الإمكان أن يلحقا بالمادة دون تدخل سبب يختلف عن المادة نفسها ؟ إن هذا السبب لا يمكن أن يكون سوى الله"[٢].

ويقول فولتير: " هناك شيء ما، وإذن هناك شيء ما أبدي إذ إنه ليس هناك أي شيء نتج من لا شيء. هذه حقيقة أكيدة يرتاح إليها تفكيرك. كل إنجاز

---

(١) تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، (٤٥٠/١).

(٢) ينظر: فولتير حياته- آثاره- فلسفته، لأندريه كريسون، صـ ٦١-٦٢، وينظر: تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، (٤٥٢/١).

يُبيّن لنا وسائل وغاية يعلن عن صانع؛ فهذا الكون المؤلف إذن من طاقات، من وسائل لكل منها غايتها يكشف عن صانع قدير وفائق الذكاء. إنه احتمال يقارب اليقين الأعظم. ولكن هذا الصانع الأسمى هل هو لا متناهٍ؟ هل هو موجود في كل مكان؟ هل هو في مكان ما؟ كيف يمكن أن نجيب على هذا السؤال بذكائنا المحدود ومعارفنا الضعيفة؟

إن عقلي وحده يثبت لي وجود كائن رتّب مادة هذا العالم؛ إلا أن عقلي عاجز عن أن يثبت لي أنه صنع هذه المادة واستخرجها من العدم"(١).

ففولتير هنا يستخدم المنهج التجريبي مثله في ذلك مثل لوك إذ إنه يستدل بوجوده على وجود الله تعالى، فوجوده يقتضي موجوداً منذ الأزل، وإلا فإن كل شيء ناتج عن العدم وليس لوجودنا سبب مطلقاً وهذا تناقض واضح لا شك فيه.

وبالتالي فإن أي شيء موجود كان له سبب، وهذا السبب له سبب وهكذا، وتنتهي إلي أنه لابد من سبب أول لكل هذه الأسباب واجب الوجود منذ الأزل.

ويفترض فولتير الفروض وينقحها مثلما فعل لوك من قبله فهو يفترض أن هذا الموجود الأول هو المادة فيتساءل هل هذا الموجود الأول أو السبب الأول هو المادة كما يرى الماديون؟ و يجيب فولتير قطعاً لا؛ لأن الحركة والفكر والإحساس ليس لازماً للمادة فالصخرة والحبة لا يفكران فمن أين تتلقي المادة الإحساس والفكر؟ لا يمكن أن تتلقى الفكر والإحساس والحركة من ذواتها، ولا يمكن أن تتلقاه من المادة بصفة عامة، فلابد إذاً لهذا كله من كائن أسمى يهبها هذه الأمور.

أما الدليل الثاني لفولتير وهو دليل هندسة العالم:

ففولتير ومن قبله نيوتن يري أن العالم يمثل آلة متسقة منتظمة، والذي بدا له، بالإضافة إلى ذلك، أن العالم قائم منذ القدم على هذا الشكل أبداً ودائماً، لا

(١) الدين الطبيعي، جاكلين لاغريه، ترجمة منصور القاضي، صـ ١٣٤- ١٣٥.

بد أن يستوجب خالقاً عاقلاً ليبنيه.

ومفهوم العالم كآلة أو كساعة مركبة يتضمن فكرة وجود صائغ يبني الآلة ويخطط اتساقها ونظامها الدقيق فالساعات والآلات حسب اختبارنا لا توجد صدفة، وإنما هي مصنوعة، ومصنوعة بذكاء لتحقق غاية معينة.

فإذا تصورنا الكون على هذا المثال وجب أن يكون نتيجة فن: أي يجب أن يكون له علة أولى ومهندس ذكي، ولقد كان الله صانع ساعة كبير، مستقلاً تمام الاستقلال عن عالمه المخلوق، وهو المهندس الذي يعنى به من الخارج(١).

وفولتير يتمسك بهذا الدليل ويشرحه شرحاً وافياً وقد كان معروفاً بتمسكه بالديانة الطبيعية حتى آخر حياته عام ١٧٧٨م فهو يقول: إننا حين نرى ساعة تسير نجد أنفسنا – حالاً – واثقين من أن الساعة لم تصنع نفسها؛ فإن كمال آلاتها يفترض وجود ساعاتي ماهر ذكي قام بصنعها، ولننظر بعد ذلك إلى الطبيعة، والترقب للنظام الرائع الذي يسير الكواكب، ولنتأمل تناسق مختلف الأعضاء في كل كائن حي، وكيف تتعاون بحيث يمكن المحافظة على الأفراد والأجناس(٢).

ويؤكد فولتير أنه ليس من المعقول أمام مثل هذا المشهد، أن نشك بوجود عقل منظم شكل العالم بالنظام والتوازن بين جميع أجزائه: إني حين أنظر إلى الجسم البشري، أستنتج أن كائناً عاقلاً قد ركب هذه الأعضاء .. وخلق العيون كي ترى، والأيدي كي تمسك .. الخ وهذه الحجة، كما يرى فولتير قديمة

---

(١) تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، (٤٥٠/١ بتصرف).

(٢) فولتير حياته– آثاره– فلسفته، لأندريه كريسون، صـ ٦١.

وليست جديدة إلا أن ذلك لا ينتقص من قيمتها[١].

وكان نيوتن نفسه يظن أن بعض المفارقات في حركة الكواكب والمذنبات تستوجب من الخالق تكييفات دورية، أي أن ساعة الكون لا بد من إرسالها بين حين وآخر لصانع الساعة من أجل إصلاحها.

غير أن هذه الفكرة لم تلق قبولاً كبيراً بحيث إن الرياضيين الفرنسيين كـ" لابلاس[٢] ولاغرانج" أثبتا فيما بعد أن هذه المفارقات دورية وتصحح الواحدة منها الأخرى.

وبصورة عامة رفض أتباع الديانة الطبيعية القول بوجود تدخل إلهى في نظام الطبيعة طالما قد ثبتت صحته. وأصبحت وظيفة الله الأولى بالنسبة إليهم أنه أدار تلك الآلة في البدء. ومنذ ذلك الحين لم تعد ثمة حاجة لدى الله لأن يشغل نفسه بأعمال خليقته التي حباها الكمال ...[٣].

وفي هذا الدليل يري فولتير أن العالم بما فيه من تناسق هندسي لا يمكن أن يكون موجوداً من نفسه، بل لابد من مهندس صانع هو الذي صنعه بتلك الدقة الشديدة وهذا النظام العجيب؛ هذا الصانع هو الله تعالى.

ويوضح فولتير العلاقة بين العالم والله وذلك من خلال هذه الحجة النظرية الرئيسة التي كان يبرزها فولتير في دفاعه عن وجود الله كانت تتمثل في بنية

---

(١) المرجع السابق، صـ ٦٢ بتصرف.

(٢) لابلاس: ولد (١٧٤٩) باسم بيير سيمون لابلاس، في نورمانديا، وهو مهندس وعالم رياضيات وعالم إحصاء وفيزيائي وعالم فلك فرنسي، وغدا أشد الملحدين إمعاناً في إلحادهم في فرنسا النابوليونية. وتوفي في ٥ مارس ١٨٢٧ بباريس. ينظر ترجمته: قصة الحضارة، (٢٠٩/٣٧).

(٣) تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، صـ ٤٥٠ بتصرف.

هذا العالم العقلانية، فبما أن العالم آلة رائعة، فإنه يفترض وجود عقل خارق، لكن إن كنا لا نستطيع أن نتصور العالم بدون الله، فإننا أيضاً، ومن منظور فولتير، لا نستطيع أن نتصور الله بدون العالم.

إن الله سرمدي وخالد، والعالم كذلك، والمهندس السرمدي" يخلق على الدوام، وما العالم إلا الإشعاع الأبدي المنبثق عنه، وقوانين الوجود التي صاغها الله وأعطانا إياها ثابتة لا تتحول فلا يسع الله، بعد أن سن قوانين الطبيعة، أن يتدخل في كل خطوة من خطوات مسار الأحداث، وإلا كان كمن يصحح نفسه باستمرار[١].

وبالتالي؛ فإن فولتير وأتباع الديانة الطبيعية يرون أن الله لا يمكن أن يتدخل في نظام الطبيعة طالما ثبتت صحته، فالله هو الذي أدار العالم أو الساعة وبالتالي لم تعد ثمة حاجة لدى الله لأن يشغل نفسه بأعمال خليقته التي حباها الكمال.

❖ تعقيب:

وهذا الدليل من فولتير وغيره من فلاسفة عصره على وجود الله تعالى تعرض لنقد شديد على يد هيوم ورأي أن أدلة الطبيعيين على إثبات وجود الله في مجملها أدلة متهافتة؛ فهذا الدليل مثلاً لا يبرهن إلا على وجود إله يسمو عن الإنسان، لكن سلطته محدودة وصناعته يعوزها الإتقان لا محالة [٢].

ولكننا إذا نظرنا إلي هذا الدليل نظرة نقد نجد أن هذا الدليل يري أن العالم وإن كان يمثل آلة أو ساعة متسقة منتظمة تستوجب خالقاً عاقلاً ليبنيه، فهو يثبت فعلاً خالقاً للكون، لكنه يكتفي بأن الله مجرد خالق للعالم ونظامه وأن الله

---

(١) فلسفة الأنوار، لفولجين، ترجمة: هنرييت عبودي، صـ ٢٧.

(٢) قصة النزاع بين الدين والفلسفة، للدكتور: توفيق الطويل، صـ ٢٢٣ بتصرف.

أدار تلك الآلة في البدء، ومنذ ذلك الحين لم تعد ثمة حاجة لدى الله لأن يشغل نفسه بأعمال خليقته التي حباها الكمال؛ بل إنه وغيره يرون أن العالم تسوده الفوضى وأن الله يتجرد عن الكمال إذا هيمنت عنايته الدائمة على تدبير العالم وتحقيق ما هو صالح.

وهذا مخالف للدين والشرائع السماوية وإنكار للعناية الإلهية، واستبعاد القول بأن الله يدبر العالم ويقرر مصيره؛ فالله تعالى يقول:{ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾} [سورة فاطر:٤١].

فالله هو الذي خلق العالم وهو المتحكم فيه ويعلم كل ما فيه: { لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٣﴾ } [سورة سبأ:٣].

وهو الذي يحفظ ويدبر كل شيء وهو الوكيل على كل شيء، قال تعالى:{ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ } [سورة يونس:٣]، وقال تعالى: {وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾} [سورة الحجر:١٧]، وقال تعالى: {ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾} [سورة الزمر:٦٢].

والعناية الإلهية عقيدة أساسية في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد تشمل كل شيء لا يفوتها شيء مهما قلت قيمته أو صغرت قدرته، ولا سيما الإنسان؛ إذ يمده الله تعالى بأسباب الوجود، ويسمع تضرعه، ويحفظه من كل سوء:" الرَّبُّ صَالِحٌ لِلْكُلِّ، وَمَرَاحِمُهُ عَلَى كُلِّ أَعْمَالِهِ... اَلرَّبُّ عَاضِدٌ كُلَّ السَّاقِطِينَ، وَمُقَوِّمٌ كُلَّ الْمُنْحَنِينَ، أَعْيُنُ الْكُلِّ إِيَّاكَ تَتَرَجَّى، وَأَنْتَ تُعْطِيهِمْ طَعَامَهُمْ فِي حِينِهِ، تَفْتَحُ يَدَكَ فَتُشْبِعُ كُلَّ حَيٍّ رِضًى...، الرَّبُّ قَرِيبٌ لِكُلِّ الَّذِينَ يَدْعُونَهُ،

الَّذِينَ يَدْعُونَهُ بِالْحَقِّ، يَعْمَلُ رِضَى خَائِفِيهِ، وَيَسْمَعُ تَضَرُّعَهُمْ، فَيُخَلِّصُهُمْ، يَحْفَظُ الرَّبُّ كُلَّ مُحِبِّيهِ، وَيُهْلِكُ جَمِيعَ الأَشْرَارِ»[١].

وعلى الرغم من عدم بروز لاهوت العناية الإلهية لغويًا في النصوص المسيحية المقدسة، إلا أنه يجسد العديد من المواضيع الكتابية المتكررة. وتشمل هذه المواضيع نظام الكون، والحكمة المنعكسة في العالَمين: الطبيعي والاجتماعي، واتجاه تاريخ إسرائيل والكنيسة، ومجيء المسيح إلى العالم[٢].

ويؤكد توما الإكويني أن كل شيء يخضع لحكم العناية الإلهية، ليس فقط وفقًا للمبادئ العامة، بل أيضًا في المسار الذي يتبعه كل كيان على حدة؛ وبما أن السببية الإلهية هي مصدر كل شيء وغايته، فلا شيء يمكن اعتباره خارج نطاق عناية الله حتى في عالم ما تحت القمر[٣].

إذاً إنكار فكرة العناية الإلهية تخالف الأديان السماوية وحتى الآراء الفلسفية التي تؤكد عناية الله للكون وتدبيره سبحانه وتعالى له.

تأكيد فولتير على وجوب الإيمان:

ويري فولتير أن ما يؤكد قيمة هاتين الحجتين (دليل العلة الأولى ودليل هندسة العالم)، هو فساد الرأي المعاكس؛ فالذين يرفضون الاعتراف بخالق منظم عاقل للكون، يسقطون بين براثن الإلحاد، ونحن نعرف أن فولتير يعتبر الإلحاد أمراً صعب المسلك إذ إن " وجود الله هو أقرب شيء إلى الاحتمال يمكن للبشر أن يفكروا فيه" و " القول المعاكس من أبعد الأشياء عن العقل

---

(١) الكتاب المقدس، سفر المزامير: (مز- ١٤٥/٩-١٧).

(٢) ينظر: موسوعة سانت أندروز اللاهوتية (St Andrews Encyclopaedia of Theology**): مقال لديفيد فيرجسون، نُشر لأول مرة: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٢،** https://www.saet.ac.uk/Christianity/Providence.

(٣) ينظر: المرجع السابق.

والمنطق" [١].

إذاً فولتير يري قوة هذه الحجج وضعف الرأي المعاكس لوجود الله، حتى قال فولتير: " لم أر قط بين أتباع نيوتن رجلاً واحداً لم يكن مؤمناً بوجود الله إيماناً عنيفاً قوياً"[٢].

وإذا كان فولتير يرفض الإلحاد رفضاً تاماً فإنه كذلك يؤكد على أن الإله واحد لا يمكن أن يكون له شريك فإن العلاقات بين شيء بعينه وشيء آخر بعينه من الوضوح والكمال بحيث لا يكفي أن نفترض وجود أكثر من إله واحد فإن منظم الكون يجب أن يكون مهندسه الأحد، ويجب أن نرى فيه " الهندسي الأزلي"[٣].

وكذلك فإن فولتير يري أن فكرة الثواب والعقاب فكرة صحيحة يجب أن ندعمها ونثبتها؛ فإننا إذا وضعنا كل اعتبار ميتافيزيقي جانباً، وجدنا أن فكرة إله يعاقب ويثيب، ذات قيمة اجتماعية عظيمة، ولا يترتب علينا أن ندعمها ونثبتها لأنها صحيحة فحسب، بل لأنها ذات نفع إنساني[٤].

ويؤكد فولتير ذلك بقوله: "إذا لم يكن الإله موجوداً فيجب أن نبتدعه، ولكن الطبيعة بأسرها تصيح فينا إنه موجود فعلاً"[٥].

وكذلك فإن فولتير يري أن الأخلاق في جوهرها، هي هي في كل مكان، والناس جميعاً لديهم ذات المفاهيم فيما يتعلق بالخير والشر والعدل والظلم، وهي

---

(١) فولتير حياته- آثاره- فلسفته، لأندريه كريسون، صـ ٦٢.

(٢) تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، صـ ٤٥٠.

(٣) فولتير حياته- آثاره- فلسفته، لأندريه كريسون، صـ ٦٢.

(٤) فولتير حياته- آثاره- فلسفته، لأندريه كريسون، صـ ٦٣.

(٥) قصة الحضارة، (١٦٦/٣٨).

مفاهيم نقشت في قلوبهم، وتوجد، متماثلة لدى جميع الفلاسفة، وفي جميع الكتب الدينية في مختلف البلاد، وحتى عند المتوحشين أنفسهم...

والمفاهيم الأخلاقية ذاتها حين تصل طبيعتنا إلى درجة معينة من التطور؛ فإن نمو الأعضاء التناسلية يدفع الذكور والإناث، في ساعة معينة من حياتهم، إلى البحث بعضهم عن الآخر، وإلى التكاثر بوسائل متشابهة، ونمو عقلنا نتيجة خبرتنا للحياة والمجتمع، ونتيجة العادات التي نمتها فينا – يجعلنا، حين نبلغ سناً معيناً، نرى ميادين العدل والظلم الثابتة، كما يجعلنا ندرك متعارفات الرياضيات التي لا يمكن مسها؛ فإن الله قد أعطانا ما نصنع منه عقلا يقوى مع أعضائنا الأخرى؛ وعن ذلك ينتج الانسجام بين مشاعرنا الأخلاقية.

ويسأل فولتير: من أعطانا الشعور بالعدل وبالظلم ؟ هو الله الذي أعطانا دماغاً وقلباً. ومتى يعلمنا عقلنا بوجود الفضيلة والرذيلة ؟ حين يعلمنا أن اثنين واثنين تساوي أربعة، وليس من معرفة فطرية لأنه ليس من شجرة تحمل أوراقاً وثماراً لدى خروجها من الأرض، وليس من شيء فطري أبداً[١].

وإذا أردنا أن نوضح فلسفة فولتير في هذه القضية ففي الإمكان إذن اختصار أهم فكرتين في فلسفة فولتير في هذه الجملة المقتضبة:" اعبد الله وكن رجلا صالحاً " أو " اعبد الله وكن عادلاً وأحب وطنك"، ويعرض تنوع العقيدة الدينية ويرثي للكراهية والتعصب ويدعو إلى تسامح متبادل بين مختلف المذاهب والشيع[٢].

وهذا هو المبدأ الوحيد للدين الطبيعي كما يري فولتير، ولقد عبرت عنه جميع

---

(١) فولتير حياته– آثاره– فلسفته، لأندريه كريسون، صـ ٦٣– ٦٥ بتصرف.

(٢) فولتير حياته– آثاره– فلسفته، لأندريه كريسون، صـ ٦٣– ٦٥ بتصرف، وينظر: قصة الحضارة، (١٦٧/٣٨ بتصرف).

الأديان المنزلة بطريقة تختلف وضوحاً.

وعلى الرجال العاقلين المفكرين أن يتفقوا على هذا المبدأ دون أن يختلفوا – كما يفكرون – على الطقوس والعبادات.

وإذا كانت مبادئ هذا الدين الطبيعي يمكن الدفاع عنها بالأساليب العقلانية، أليس فيها غموض ؟ أهي في منجى عن الاعتراض ؟ يرى فولتير أنها بعيدة عن ذلك كله، ويشير إلى هذه الصعاب من جهة ويرفض أن ينزعج بسببها من جهة أخرى.

فإن الله موجود، لا إله إلا هو، منظم الكون وهو أبدي سرمدي، لأنه لا يعتمد إلا على ذاته، وهو مطلق الحرية، وهو كائن عاقل نظم كل شيء كما يبني الفنان آثاره، وهو " هندسي قدير"، وزن كل شيء وقاسه، وهذه جميعها أشياء يثبتها العقل أو على الأقل يثبت أنها قريبة من الاحتمال إلى حد عظيم.

أما عن بعض الأسئلة المتعلقة بهذا الإله مثل ما صفات هذا الإله بالضبط ؟ ما طبيعته ؟[١] ما علاقاته بالفراغ وبالزمن ؟ هل يجب أن نضفي عليه اللاتناهي الذي لا يحيط به عقلنا المتناهي ؟ هل يجب أن نعتقد أنه في قدرته القادرة كان يمكن أن يحمل ٢+٢ يساويان ٥، وأن يجعل ما كان غير كائن ؟ كيف السبيل إلى تصور عقله، وإرادته، والعلاقات بينها؟

وهنا يتوقف فولتير ولا يجيب على هذه الأسئلة سوى بقوله: " أفضل أن أقف على أن أتيه؛ إن وجود الله ثابت لدي أما صفاته وجوهره فإني أعتقد أنه من الثابت لدي أني لست مصنوعاً لتفهمها. فلنعترف بجهلنا في مثل هذه المواضيع. تلك هي الحكمة الوحيدة[٢].

---

(١) ينظر: قاموس فولتير الفلسفي، صـ ١٥٦-١٥٧، ترجمة: يوسف نبيل، مراجعة، جلال الدين عزالدين علي، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٨م.

(٢) فولتير حياته- آثاره- فلسفته، لأندريه كريسون، صـ ٦٦- ٦٧ بتصرف.

إذاً فولتير في مبدأه " اعبد الله وكن رجلاً صالحاً " يرى أن المؤمن الموحد بالله رجل مقتنع كل الاقتناع بوجود كائن أسمى فاضل قوي معاً، خلق كل الموجودات يعاقب على الخطايا دون قسمة، ويثبت على صالح الأعمال في رفق وحنان، ومع ذلك فإن المؤمن لا يعرف كيف يعاقب الله وكيف يثبت، وكيف يعفو، ويغفر لأنه لم تبلغ به الجرأة حداً يخدع معه نفسه بأنه يدرك كيف يتصرف الله، ولكنه يعلم أن الله يفعل وأن الله عادل...

ويرى أن هذه العناية الإلهية تحيط بكل مكان وبكل زمان، وقد اتحد في هذا المبدأ مع سائر الكون. فإنه لا ينضم إلى أي من الشيع أو الطوائف التي تناقض نفسها.

إن ديانته هي أقدم الديانات وأوسعها انتشاراً، لأن العبادة البسيطة لله سبقت كل الأساليب والطرق في العالم ... أنه يؤمن بأن الديانة لا تقوم على آراء الميتافيزيقا المبهمة التي يصعب سبر غورها، ولا على الزخارف العقيمة، بل تقوم على العبادة والتقديس والعدالة. إن عمل الخير عبادته والخضوع لله مذهبه ... إنه يسخر من لوريتو ومكة ولكنه يغيث الملهوف ويدافع عن المظلوم[١].

وهذا هو عين الديانة الطبيعية التي يجمع أصحابها الإيمان بالله والتسامح مع الآخر، والإيمان بالثواب والعقاب والخلود.

وبعد هذا الإيمان القطعي بوجود الله تعالى من فولتير، إلا أن هناك البعض يري أن هذه المبادئ من فولتير ينسبها بعض الباحثين إلى الحيطة والحذر، أو إلى الرغبة في التحول إلى الإلحاد خطوة خطوة، أو إلى أمل في أن يقلل غرس الإيمان الديني في خدمه من السرقة والاختلاس[٢].

---

(١) قصة الحضارة، (١٦٥/٣٨ بتصرف).

(٢) ينظر المرجع السابق نفسه.

لكن هذا الاستنتاج من هؤلاء يتناقض ويتصادم من دعوة فولتير بضرورة الإيمان بالله بل إنه يري أنه لولم يكن الإله موجوداً فيجب أن نبتدعه أو نخترعه، ولكن الطبيعة بأسرها تصيح فينا أنه موجود فعلاً[١].

موقف فولتير من الوحي الإلهي

رأينا فيما سبق كيف تمسك جون لوك وهو من المحافظين بالوحي بجانب الديانة الطبيعية ووضح أهمية الوحي ....

وإذا بحثنا في موقف المجددين نجد أنهم أنكروا الوحي إنكارًا تاماً، ولم يجدوا ثمة أهمية للاحتفاظ بالوحي، فالله عندهم لم يضف جديداً للديانة الطبيعية، ولا يستطيع الوحي أن يأتي بجديد فيها.

لكن هؤلاء المجددين لم يكتفوا بهذا الرفض العام للوحى وإنما أثاروا حملة على الوحى وكل ما يمكن أن يميز الديانة المسيحية عن الديانة الطبيعية أو ديانة العقل.

ولعل من أهم هؤلاء الفلاسفة فولتير حيث كان فولتير مؤلهاً طبيعياً في الدين؛ إذ إنه يرى أن هناك نظاماً كافياً في الطبيعة يؤدي بنا إلى الإيمان بالله، وكان يرغب في أن يحل الدين الطبيعي – مذهب المؤلهة– في عقول الناس المفكرين محل الكنيسة الكاثوليكية، دون أن يسبب ذلك إزعاجاً لدين العوام[٢] .

ولكنه ينكر الوحي إنكاراً تاماً، بل إنه يتفاخر بهذا الإنكار ويري أن هذا الاسم – المنكر للوحي – هو من أعظم الأسماء التي يمكن أن تطلق عليهم، يقول فولتير: إن يسوع الناصري كان ذا أخلاق بالغة في النبل فلا يصح

---

(١) فولتير حياته– آثاره– فلسفته، لأندريه كريسون، صـ ٦٣، وقصة الحضارة، (١٦٦/٣٨).

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة وليم كلى رايت، صـ ٢٢٥.

تسميته بالمسيحي؛ فكل رجل عاقل صالح يجب أن يرهب الفرقة المسيحية.

إن اسم المؤمن بالله المنكر للوحى – وهم اسم كبير لا نحيطه بمقدار كاف من الاحترام – هو الاسم الوحيد الذي يجب أن نتخذه تسمية لنا والإنجيل الوحيد الذي يجب أن نقرأه هو كتاب الطبيعة الكبير الذي كتبته يد الله وختمته بخاتمها.

والديانة الوحيدة التي يجب التبشير بها هي عبادة الله والسعي للخير. وأنه ليستحيل أن تنتج هذه الديانة الصافية الخالدة شراً قدر ما يستحيل على التعصب المسيحي ألا تنتجه(١).

وقال فولتير: "سيكون خلاصنا بفضل ممارسة هذه المبادئ الأخلاقية، لا نتيجة إيماننا بأن المسيح هو الله".

وسخر كثيراً من "التثليث" في كتابه الملحد والحكيم، ويسأل الملحد "هل تؤمن بأن للمسيح طبيعة واحدة وشخصية واحدة وإرادة واحدة، أو أن له طبيعتين وشخصيتين وإرادتين، أم أن له إرادة واحدة وطبيعة واحدة وشخصيتين، أو إرادتين وشخصيتين وطبيعة واحدة؟ " ولكن الحكيم يأمره أن ينسى هذه الألغاز ويكون مسيحياً طيباً(٢).

بل إن فولتير ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير فإنه يشير إلى أن المسيح، بخلاف القديس بولص والمسيحيين اللاحقين، ظل مخلصاً لليهودية على الرغم من نقده للفرنسيين: "أن هذا الإله الخالد، بعد أن جعل نفسه يهودياً، يتمسك بالديانة اليهودية طيلة حياته ويؤدي شعائرها ويتردد على المعبد اليهودي ولا ينطق بشيء يخالف الشريعة اليهودية. وكل التلاميذ يهود يؤدون

---

(١) تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، صـ ٤٤٦.

(٢) قصة الحضارة، (٢٠٥/٣٨).

الشعائر اليهودية. يقينا إنه ليس هو الذي أسس الديانة المسيحية ... أن يسوع المسيح لم يبشر بأية خصيصة واحدة من خصائص المسيحية "[١].

إن يسوع في رأي فولتير، قبل معتقد كثير من اليهود الأتقياء قبله، بأن العالم كما عرفوا يسير إلى نهايته، وسرعان ما تحل محله "مملكة الرب" أي الحكم المباشر لله على الأرض. (والنقد الحديث يقبل وجهه النظر هذه).

وقد تعامل فولتير مع الديانات السماوية مثلها مثل الديانة الوضعية في سياق تاريخي فهو يدرس المسيحية كجزء من تاريخ الأديان المقارن، فلا يفرق بين دين موحى به كالمسيحية واليهودية والإسلام ودين تاريخي محض كالبوذية أو الكنفوشيوسية والبرهمانية وغيرها من الديانات الأسيوية والإفريقية؛ فقد أخضع المسيحية لنفس القوانين التي خضع لها كل دين إنساني تاريخي، وعقائدها كذلك؛ لذلك التجأ فولتير في دراسته لنشأة المسيحية إلى علم الأساطير المقارن وإلى تاريخ الأديان المقارن[٢].

❖ نقده للنبوات والمعجزات:

النبوة وهي من أهم دعائم الوحي تناولها فولتير بالنقد الشديد حتي وصل به الأمر إلى جعل كل ما قيل في العهد القديم حول الأنبياء من قبيل الأساطير الشعبية، فهم أنصاف آلهة كأبطال اليونان، يقتلون ويسرقون ويخدعون ويخطفون نساء الغير. فقد قتل داود أحد أصدقائه للاستيلاء على امرأته، وحاك المؤامرات للإطاحة بمنافسيه..[٣].

---

(١) قصة الحضارة، (٢٠٥/٣٨).

(٢) في الفكر الغربي المعاصر، لحسن حنفي، صـ ٨٧ بتصرف، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط: الرابعة، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

(٣) المرجع السابق، صـ ٩١.

ويوجه فولتير نقده الشديد للتوراة والإنجيل، وينفي أن يكونا من وحي الله تعالى، فهو يستغرب بشكل كبير أن المسيحي يسلم أمره دون قيد إلى كتابين يعتقد أنهما مقدسان: التوراة والإنجيل، ويعتقد اعتماداً على الأقوال المتوارثة – أن الله نفسه قد أوحى بها.

والمسيحي يؤمن إيماناً كاملاً بالتوراة والإنجيل... ولكن هل لهذا الإيمان مسوغ أو أساس شرعي ؟ جواب فولتير على هذا السؤال: لا. ويعلل نفيه بأن مختلف أقسام التوراة ليست لها نفس صيغة الصحة والأصالة(١).

ويبين فولتير هذا بأن في التوراة ما ينافي كونها من عند الله فكيف يمكن الاعتقاد بأن موسى كان لديه ما يكتب به في الصحراء، حيث لا يوجد حتى أشجار، ينقش عليها! زد على ذلك أن كاتب أسفار موسى يقول بأنه يكتب من وراء الأردن، في حين أن موسى لم يدخل أرض الميعاد أبداً، كما أن ثمة مواقع ومدنًا أطلقت عليها، في النص، أسماء لم تعرف بها إلا بعد موت موسى بوقت طويل؛ فإننا نجد في التوراة مثلاً: « لم يأت بعد موسى نبي يضاهيه عظمة، وهذه جملة لم يكتبها موسى بدون شك. هذا بجانب أننا في أسفار موسى نقرأ قصة موته كاملة، فكيف يمكن التوفيق بين هذه المتناقضات؟(٢)

وإذا كان فولتير قد وجه نقده الشديد القائم على الحجة العقلية في نقده للتوراة لبيان نفي أن تكون من وحي الله تعالى؛ فإن الإنجيل أيضاً لم يسلم من النقد وبنفس منطق نقده للتوراة فهو يبين أن الأناجيل، لم تحرر رأساً في زمن المسيح، بل كتبت بعد مائة عام من موته.

---

(١) ينظر: فولتير حياته– آثاره– فلسفته، لأندريه كريسون، ترجمة: الدكتور صباح محي الدين، صـ ٤٧–٤٨ بتصرف، منشورات عويدات بيروت– لبنان، ط: الثانية، ١٩٨٤م.

(٢) المرجع السابق، صـ ٤٨ بتصرف.

وفضلاً عن ذلك فإن الأناجيل التي تعتبرها الكنيسة حقيقية كانت ترافقها أناجيل أخرى كثيرة تعتبرها الكنيسة مزيفة. فما السبب في قبول البعض ورفض البعض الآخر ؟ وإلى جانب هذا، فإن الأناجيل الأربعة لا تتفق فيما بينها لا على نسب المسيح ولا على أحداث طفولته ولا على معجزاته ولا على أقواله. فكيف يمكن إذاً اعتبارها جميعا صالحة وذات قيمة ؟[١]

ويؤكد فولتير بناء على ما سبق أن نصوص التوراة والإنجيل بعيدة عن أن يكون لها الاعتبار التاريخي الذي تضفيه عليها الكنيسة، هذا من جهة ومن جهة أخري فإنه يقارن بين التوراة والإنجيل باعتبارهما الكتاب المقدس الذي يجب أن يؤمن به المسيحي، ويتعجب كيف السبيل إلى الاعتقاد بأن كل ما يقصه هذان الكتابان هو من وحي إلهي؟ فإذا كان الله هو الذي أملى التوراة والإنجيل، حق لنا أن نعجب ! إذ إن الله ذو أفكار خاطئة جداً في علم الفلك، كما أنه يجهل علم تاريخ الحوادث، ويجهل الجغرافيا جهلاً تاماً... ويناقض نفسه بنفسه فيما يخص الأخلاق !! فهل في الإمكان أن يظن المرء أن الرب ذاته يفرض مبدأ: (العين بالعين والسن بالسن، في التوراة ثم يأتي بالإنجيل فيطلب « أن نمد خدنا الأيمن لمن يصفعنا على خدنا الأيسر، وأن نعطي رداءنا لمن سرق ثوبنا » و « أن لا نقاوم الشرير » فهل هذه قوانين تتفق وأوامر التوراة ؟[٢].

موقف فولتير من المعجزات:

وبعد أن انتهى فولتير إلى أن ما جاء في الكتب المقدسة المسيحية واليهودية ما هو إلا خرافات لا سبيل للإيمان بها، ولا سبيل أيضاً للإيمان بالمعجزات

---

(١)المرجع السابق، صـ ٤٨- ٤٩ بتصرف.

(٢) المرجع السابق، صـ ٤٩ بتصرف.

التي يقال إنها حدثت دون انقطاع خلال التاريخ اليهودي، فأتاحت لليهود أن يعبروا البحر الأحمر والأردن دون أن تبتل أقدامهم، وليوشع أن يوقف الشمس.

وكيف السبيل إلى الإيمان بالمعجزات التي أسقطت أسوار أريحا عند نفخ الصور، وجعلت شمشون يكسر جيشاً كاملاً بفك حمار، والملائكة يتدخلون هنا وهناك في أعمال خارقة ؟ وأي رأي يجب أن يبديه المرء في تكاثر الأرغفة والسمك، وفي العميان الذين شفتهم كلمة أو إشارة، وفي بعث الموتى، والارتفاع إلى السماء، وفي الحبل بلا دنس وفي بتولة العذراء حتى بعد أن ولدت في حين أن يسوع كان له إخوة ؟ فأي احتمال عقلي في هذه القصص وفي كثير من غيرها ؟[١]. ويقطع فولتير أنه " ليس ثمة معجزات"[٢].

(١) المرجع السابق، صـ ٥٠ بتصرف.
(٢) قصة الحضارة، (١٦٣/٣٨).

المبحث الثالث
الدين الطبيعي في ميزان النقد

إن القائلين بالدين الطبيعي يعتمدون على العقل في إثبات كل شيء يعتقده معتنق هذا الدين مع عدم إنكار أحد أن عقول البشر متفاوتة حتى ولو قلنا: إن الدين الطبيعي دين الفلاسفة، فإن الفلاسفة أنفسهم عقولهم متفاوتة، فلو اعتمدنا على العقول لن يكون هناك في الدين عقائد تعلو العقول.

وإذا نظرنا إلي الدين الطبيعي نجد أن مذهب الدين الطبيعي ظهر في أوربا كرد فعل لكهنوت العصر الوسيط حيث دفعت الكنيسة الكاثوليكية بسياستها الاجتماعية وتحالفها مع النظام القديم ومساوئها، كل رجل عاقل إلى المعارضة القوية، لا لنظام الرهبانية الكاثوليكي فحسب، ولكن لكل ما له صلة به، والديانة ذاتها، حتى خيل للكثير أن الديانة قضت نحبها تماماً.

وهذا ما جعل فولتير يؤمل أن يرى " آخر ملك مخنوقاً في أحشاء آخر راهب يسوعي"، وبالرغم من ذلك ظل الناس يتشوقون إلى نظرة دينية كونية ويسعون إلى التوصل لحل وسط مع العلم النيوتوني(١).

وقد كان هناك بعض الأمور التي تؤخذ على نظام الدين الطبيعي، لعل من أهمها:

إقحام العلم في أمور الدين:

إن أول ما يؤخذ على القائلين بمذهب الدين الطبيعي هو أنهم أقحموا العلم في أمور الدين بشكل مبالغ فيه، وخاصة النزعة التجريبية التي تريد أن تخضع كل ظاهرة للملاحظة والتجربة، أو الاستدلال العقلي القائم على مبدأ الضرورة في العلاقة بين العلة والمعلول- كما كان الأمر عند جون لوك-.

(١) **تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، صـ ٤٦٢ بتصرف.**

ولما كان الدين مشتملاً على معتقدات متضمنة لأسرار وغيبيات لا تخضع للمشاهدة الحسية أو علاقة العلية فقد انطلق المجددون من أصحاب الدين الطبيعي يجردون الدين من الوحي والمعجزات؛ مدعين أن هذه ليست معتقدات جوهرية فيه، مكتفين بالإيمان بوجود الله ووحدانيته وخلقه للعالم، وضرورة عبادته من خلال العمل الصالح دون طقوس أو شعائر على نحو ما رأينا عند فولتير [١].

وهكذا فعل أصحاب الدين الطبيعي بالعلم ما فعله رجال الكنيسة بالدين أقحموا العلم في خصوصيات الدين تماماً كما فرضت الكنيسة الدين في مسائل العلم، لا أقول إنهم عالجوا خطأ بخطأ، وإنما أقول: إنهم ردوا على تطرف بتطرف، وكما أن هناك شقة بالغة العمق بين حقيقة الدين وتصرفات رجال الكنيسة، كذلك لم يكن للعلم شأن بالنزعة العلمانية لدى أصحاب الدين الطبيعي[٢].

وهذا ما أكده كانط حين قال: أنا أؤكد أن جميع المحاولات في استعمال العقل استعمالاً فكرياً في حقل اللاهوت لا فائدة منها مطلقاً، وهي: بطبيعتها الذاتية باطلة وفارغة [٣].

ولذلك فإنه إذا كان مذهب الدين الطبيعي يمثل نزعة عقلانية في الدين، بينما عالم الغيب يشكل معتقداً جوهرياً في أي دين، وقد أنكره الدين الطبيعي،

---

(١) وحملها الإنسان...، مقالات فلسفية، للدكتور/ أحمد محمود صبحي، صـ ١٩٠بتصرف.

(٢) وحملها الإنسان...، مقالات فلسفية، للدكتور/ أحمد محمود صبحي، صـ١٩٠ بتصرف.

(٣) **تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، صـ ٤٦٣ بتصرف.**

فإن المذهب حمل في طياته جرثومة استحالة بقائه كدين بين الأديان، فضلاً عن أن يكون بديلاً عن المسيحية أو حتى مجرد تعديل لها ومن ناحية أخرى فإنه حُسب على الاتجاهات الفكرية فإنه لم يرتق إلى مكانة المذاهب الفلسفية، لأن أنصاره اختاروا لأنفسهم أن يحشروا كفلاسفة بين الأنبياء، فكان وضعهم لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء(١).

مناقشة المعجزات وخوارق العادات أدى لإنكار الوحي تماماً بل وإنكار الدين ذاته:

حتى ومع اعتراف جون لوك والمحافظين بأهمية الوحي إلا أنه لمَّا أخضعوا الوحي للعقل في كل صغيرة وكبيرة؛ فإنه بذلك فتح الباب للتشكيك في الدين ذاته؛ فالجدل الذي حدث بين المحافظين من الطبيعيين وبين المجددين الذين ينكرون الوحي والذي استخدم المحافظون فيه المعجزات والتنبؤات التي وردت في العهد الجديد، شاهداً على صحة الوحى وصدقه، وأبى خصوم الوحى من الطبيعيين أن يقروا هذا الشاهد، أدي هذا النزاع إلي هدم النبوات والوحي الإلهي بل أدى إلي هدم الدين ذاته.

وقد كان من أثر ذلك ظهور تيار الإلحاد والمادية الشاملين عند هولباخ ومعظم مفكري فرنسا سنة ١٧٧٠م، فمن يبحث في الدين الطبيعي في ذلك العصر – عصر العقل– الذي كان نقطة ابتدائه الافتراضات الدينية الطبيعية في العلم النيوتوني، يجد أنه لم يكن مفر من الانتهاء إلي الإنكار الكامل لكل قاعدة من قواعد المسيحية التقليدية(٢).

وبالتالي فإن الاعتراض على المعجزات وخوارق العادات، يؤدى إلى هدم

---

(١) وحملها الإنسان...، مقالات فلسفية، للدكتور/ أحمد محمود صبحي، صـ ١٩٦.

(٢) تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، صـ ٤٦١ بتصرف.

الأديان جميعاً، لأن الأصل في الدين أنه يدعو إلى الإيمان الغيبي بما فوق العقل، والاعتراض على هذا مع محاولة إخضاع الدين إلى منطق العقل وامتحان التجربة والمشاهدة، كفيل بهدم الدين من أساسه، والتسليم به يفضى إلى التسليم بخوارق العادات؛ لأن الأصل في العلم أنه يقوم على تلازم الأسباب والمسببات أو عدم تلازمها ضرورة، ولزوم السبب للسبب يبطل المعجزات وخوارق العادات، فضلاً عن إبطال الوحي كله والمعتقدات الأصلية في الأديان؛ لأن هذا يستلزم القول بأن الفاعل الذى يؤثر في الأشياء والموجودات يكون من داخل لا من خارج، أما المؤمنون بالدين فيرون أن الفاعل من خارج وليس من داخل، وبذلك يصبح وراء الفعل(١)، وعلى ذلك فإن المذهب الطبيعي يشابه مذهب الإلحاد، لأن كليهما يعطل الإرادة الإلهية، ويستبعد تأثيرها في العالم، وينكر المعجزات وخوارق العادات تلميحاً أو تصريحاً(٢).

ومن المؤكد أن إنكار النبوة والوحي إنما هو إنكار لكل الأديان والشرائع السماوية، أي أنَّه إذا كان أصحاب الدِّين الطبيعي يؤمنون بوجود الله ويبرهنون على ذلك الوجود بأدلة عقلية، فإنهم في الوقت نفسه يرفضون الوحي وينكرون كل الأديان السماوية وطقوسها وشعائرها التعبدية التي تأتينا عن طريق هذا الوحي وتلك النبوة، وهذا الأمر يظهر بوضوح عند رواد الدِّين الطبيعي في الفكر الغربي الحديث.

إذاً التياران المنتميان للدين الطبيعي وهما: التيار الذي يؤمن بالوحي ولكنه يضعه تحت مجهر المنهج العلمي والتجريبي، وكذلك التيار الذي ينكر الوحي تماماً، أقول: كلاهما ساعد على هدم الدين في عقول الناس؛ إما بشكل مباشر

---

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة، للدكتور توفيق الطويل، صـ ٢١٤-٢١٥ بتصرف.

(٢) قصة النزاع بين الدين والفلسفة، للدكتور توفيق الطويل، صـ ٢١١ بتصرف.

أو غير مباشر مما أدى إلى انتشار تيار إلحادي مادي بحت، لأن كلا منهما أراد أن يثبت صحة ما ذهب إليه فهاجم كل منهما الآخر فهدم ما ذهب إليه حتى وصل الأمر للإلحاد البحت.

ولذلك؛ فإنه قد تقرر في كل مكان أن الديانة لم يكن لها أساس عقلي على الإطلاق، وأن الطريقة الوحيدة لتجنب الإلحاد والمادية هي في مهاجمة مقدرة العقل والتجربة العقلية على التوصل إلى الحقيقة النهائية(١).

وإذا أردنا أن نُبين حاجة الإنسان إلى الوحي والمعجزة؛ فإن البشر كانوا متفقين في البداية ثم اختلفوا، ولما اختلفوا واختلفت عقولهم كان لابد من إرسال الرسل، وإلى ذلك يشير الحق تعالى بقوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ ...﴾ [سورة البقرة:٢١٣].

كان الناس أمة واحدة متفقين على دين الإسلام فبعث الله النبيين يريد: فاختلفوا فبعث الله. وإنما حذف لدلالة قوله: (ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) عليه.

فقد كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا. فبعث الله الأنبياء ليحكم الله، أو الكتاب، أو النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه(٢).

إذاً الاختلاف كان سبباً في إرسال الرسل بالوحي والمعجزة؛ فكيف يمكن أن يبدي أصحاب الدين الطبيعي أننا يمكن لنا أن نصل إلي عقائد الدين دون الحاجة للوحي؟

---

(١) تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، صـ ٤٦٢-٤٦٣ بتصرف.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ت: ٥٣٨هـ، (٢٥٥/١/٢٥٦ بتصرف)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

ولذلك أجمع أصحاب الملل السماوية إلي حاجة البشر للوحي، بل إن بعض الفلاسفة ذهب للقول بوجوب البعثة ولزوم النبوة[١]؛ لحاجة البشرية إليها.

أما زعم المجددين من القائلين بالدين الطبيعي بأنه لا حاجة للوحي ولا للنبوة لأن العقل يغني عن الوحي، أقول: إن هذا القول سبقهم به السمنية حيث قالوا: إن إرسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم لإغناء العقل عن الرسل؛ لأن ما جاء به الرسل إن كان موافقًا للعقل حسناً عنده، فهو يفعله وإن لم يأت به – أي الرسول–، وإن كان مخالفًا له قبيحًا عنده يتركه ولا يقبله، وإن لم كان عنده يفعل ولا قبيحًا فإن احتاج إلى فعله، وإلاَّ تَرَكَهُ[٢].

والجواب: أن في إرسال الرسل معاضدة وتأكيدًا للعقل فيما استقل بمعرفته بمنزلة توارد العقل على مدلول واحد، مثل: وجود الباري تعالى وعلمه وقدرته، واستفادة الحكمة من الرسول فيما لا يستقل العقل بمعرفته فيرشده الرسول ويدله، مثل: مباحث الكلام، والرؤية، والمعاد الجسدي، وتعليم الأخلاق الفاضلة الراجعة إلى الأشخاص، والسياسات الكاملة العائدة إلى الجماعات من المنازل، والمدن. وغير ذلك من الثمار والفوائد والغايات الراجعة للإرسال حسب ما جرت به العوائد.

وما يخالف العقل قد لا يكون مع الجزم فيدفعه الرسول ويرفع عنه الاحتمال، وما لا يدرك حسنه ولا قبحه – كالنظر لوجه العجوز الشوهاء – قد يكون حسنًا يجب فعله أو قبيحاً يجب تركه، مع أن العقول متفاوتة؛ فالتفويض إليها مظنة التنازع، والتقابل، ويفضي إلى اختلال النظام[٣].

---

(١) شرح المقاصد، لسعد الدين التفتازاني، ت: ٧٩٣، (٢٥/٥)، تحقيق الدكتور/ عبدالرحمن عميرة، عالم الكتاب، بيروت لبنان، ط: الثانية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

(٢) هداية المريد لجوهرة التوحيد، للشيخ إبراهيم اللقاني المالكي، ١٠٤١هـ، (٦٦٧/١– ٦٦٨ بتصرف)، تحقيق: مروان حسين البجاوي، دار البصائر، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

(٣) المرجع السابق، (٦٧١–٦٧٢ بتصرف).

إذاً لا يمكن للبشرية الاستغناء عن الوحي بأي حال من الأحوال، ولا يمكن كذلك إخضاع الوحي للعقل في جميع مسائله فإن هناك ما هو فوق مستوى العقل في إدراكه كالمعاد الجسماني وهذا ما ذهب إليه جون لوك وخالفه حين حاول ادعاء أن الوحي يجب أن يخضع كله لاختبار العقل.

ظهور حركة الإحياء في أوربا:

وقد أدى ذلك إلى إحياء الديانة الشخصية القائمة التجربة الروحية الداخلية كما عرفها بولس الرسول وأوغسطين... ثم إن حركة الإحياء هذه أدارت ظهرها عن تعمد للعلم والعقل وتمسكت بالإيمان؛ لذلك كان تأثيرها على الطبقة المفكرة قليلاً.

وقد أثر على هذه الطبقة – الطبقة المفكرة– الفيلسوف الألماني كانط، الذي حاول أن يثبت بشكل قاطع أن العقل والعلم يصح استعمالهما في حقل معين. أما خارج هذا الحقل فالإيمان الذي دعاه كانط " العقل العملي" قادر على أن يثبت قواعد الديانة الطبيعية وهي: الله والحرية، والخلود، وقد بدت أدلة كانط فاصلة في تاريخ الفكر، واستطاعت أكثر من أي عامل فكري آخر أن تنقذ الاعتقاد الديني وأن تجعل الإحياء الديني ممكناً في النصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث أثبت استحالة قيام ديانة عقلية خالصة. (١).

ومع ذلك يحمد للمذهب دعوته إلى التسامح الديني، والتعايش بين الأديان، وتقرير حق الفرد في حرية التفكير، هذا على مستوى العمل، وقد كان المذهب دعوة إصلاحية أكثر منه فلسفة نظرية، ومع ذلك فقد أنجب على مستوى الدراسات النظرية كلاً من علم الأديان المقارن وفلسفة الدين(٢).

---

(١) تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، صـ ٤٦٢-٤٦٣ بتصرف.

(٢) وحملها الإنسان، مقالات فلسفية، للدكتور/ أحمد محمود صبحي، صـ١٩٦.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين

وبعد

فبعد تمام بحثي في موضوع الدين الطبيعي بين جون لوك وفولتير؛ توصلت إلي عدة نتائج أذكرها فيما ما يأتي:

١- انقسام أصحاب الدين الطبيعي إلي تيارين: أحدهما يؤمن بالوحي بعد الإيمان بالله لكنه يخضع الوحي إلي العقل إخضاعًا تامًا، والتيار الآخر ينكر الوحي والنبوة من الأساس ويري كفاية العقل للوصول لكل مبادئ الدين، وينتمى جون لوك للتيار الأول وفولتير للتيار الثاني.

٢- صحة نسبة جون لوك للدين الطبيعي بمعنى أن الإنسان يمكنه الوصول إلى العقائد الإيمانية عن طريق العقل، وليس بمعنى إنكار الوحي الإلهي؛ فقد أثبت وجود الله تعالى عن طريق العقل مستخدماً المنهج التجريبي في هذا الاستدلال على نحو ما بينت أثناء البحث، وبالتالي فإن" لوك" لم يكن ملحداً، ومخطئ من ادعى أن جون لوك كان ملحداً، أو أنه أيد " في طيش وتهور" آراء الملحدين.

٣- لم ينكر جون لوك الوحي الإلهي والنبوة مع قوله بالدين الطبيعي، فثمة فرق بين القول: إن المسيحية تتفق منطقياً مع العقل، وبين القول بالاستغناء عنها والاكتفاء بالعقل فقط.

٤- يري أن الأخلاق مصدرها الحقيقي هو الدين الطبيعي والوحي معاً وهما يشكلان معاً في الحقيقة شيئاً واحداً هو القانون الإلهي.

٥- أما فولتير فإنه يثبت وجود الله من خلال البرهان العقلي القطعي فإنه لا شك في وجوده تعالى لدى فولتير، وقد رفض فولتير موقف باسكال حين

قال: " إنه ليس في الإمكان أن نعرف وجود الله بالعقل" بل رأي أن نيوتن يثبت وجود الله تعالى لأولي الألباب، فالعقل يتوصل، في هذا المجال، إلى إثباتات قاطعة.

٦- دليل هندسة العالم لدى فولتير وغيره من الطبيعيين رفضه هيوم ورأى أن هذا الدليل لا يبرهن إلا على وجود إله يسمو عن الإنسان، لكن سطلته محدودة وصناعته يعوزها الإتقان لا محالة.

وقد أوضحت أن هذا الدليل بهذه الطريقة التي استدل بها الطبيعيون يخالف الدين وينكر العناية الإلهية واستبعاد القول بأن الله يدبر العالم ويقرر مصيره.

٧- وقد أكد فولتير رفضه الشديد للإلحاد وأثبت بطلان القول بعدم وجود إله، وأنه مناقض للعقل السليم ويؤدي إلي هلاك دائم لصاحبه، ويؤكد فولتير على فكرة إله يعاقب ويثيب، ويرى أن هذه الفكرة ذات قيمة اجتماعية عظيمة.

٨- فولتير يري أن الأخلاق في جوهرها، هي هي في كل مكان، والناس جميعاً لديهم ذات المفاهيم فيما يتعلق بالخير والشر والعدل والظلم، والمفاهيم الأخلاقية ذاتها في جميع الأديان والكتب الدينية.

٩- أما بالنسبة للوحي الإلهي فإن فولتير أنكر الوحي إنكارًا تاماً، وهاجم المعجزات ؛ فالوحي لم يضف جديداً للديانة الطبيعية، ولا يستطيع الوحي أن يأتي بجديد فيها، ويتفاخر فولتير بهذا الإنكار ويري أن هذا الاسم – المنكر للوحي – هو من أعظم الأسماء التي يمكن أن تطلق عليهم .

١٠- ويرى فولتير أن الديانة الوحيدة التي يجب التبشير بها هي عبادة الله والسعي للخير، وسخر كثيراً من "التثليث".

١١- هاجم فولتير العهد القديم وما به من إلصاق تهم للأنبياء بالسرقة والخديعة وغير ذلك، ورأي أنه لا مسوغ للإيمان بالتوراة والإنجيل، ويبين فولتير

هذا بأن في التوراة ما ينافي كونها من عند الله، وأن الأناجيل، لم تحرر رأساً في زمن المسيح، بل كتبت بعد مائة عام من موته.

١٢- إن مذهب الدين الطبيعي ما هو إلا حركة إصلاحية ظهرت في أوربا كرد فعل لكهنوت العصر الوسيط.

١٣- أخطأ أصحاب الديانة الطبيعية في إقحام العلم في أمور الدين فهما والكنيسة سواء؛ فقد فعل أصحاب الدين الطبيعي بالعلم ما فعله رجال الكنيسة بالدين، أقحموا العلم في خصوصيات الدين تماماً كما فرضت الكنيسة الدين في مسائل العلم.

١٤- وكذلك فإن مناقشتهم المعجزات وخوارق العادات أدى لإنكار الوحي تماماً بل وإنكار الدين ذاته، وانتشار تيار التشكيك بل والإلحاد.

هذه أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، ويوصي الباحث بدراسة ما يأتي:

١- أثر الديانة الطبيعية في انتشار الإلحاد في أوربا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

٢- موقف فلاسفة القرن التاسع عشر من الديانة الطبيعية.

٣- نقد فلاسفة القرن الثامن عشر للكتاب المقدس.

٤- بحث موقف هيوم وهولباخ من الدين الطبيعي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.
ثانياً: المصادر والمراجع العامة:

- تاريخ الفكر الأوروبي الحديث١٦٠١ – ١٩٧٧م، لرونالد سترومبرج، ترجمة أحمد الشيباني، دار القارئ العربي– مصر، ط: الثالثة، ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م.
- تاريخ الفلسفة الغربية، لبرتراند رسل، ترجمة: د/ محمد فتحي الشنقيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.
- التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ت: ٦٠٦هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
- تكوين العقل الحديث، جون هيرمان راندال، ترجمة: الدكتور جورج طعمه، ومراجعة الأستاذ برهان الدين الدجاني، تقديم: الدكتور محمد حسين هيكل، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٣م.
- جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، للدكتورة راوية عبدالمنعم عباس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٦م.
- جون لوك مقدمة قصيرة جداً، لجون دن، ترجمة فايقة جرجس حنا، مراجعة هبة عبدالمولى، مؤسسة هنداوي، ط: الأولى ٢٠١٦م.
- جون لوك من فلاسفة الإنجليز في العصر الحديث، للأستاذ الدكتور فاروق عبد المعطي وكيل كلية الآداب – جامعة المنصورة، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م.
- الدين الطبيعي، جاكلين لاغريه، ترجمة منصور القاضي، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط: الأولي،١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
- الدين والسياسة في فلسفة الحداثة، د/ فريال حسن خليفة، مصر العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

- رسائل فولتير، تقديم: جون لاي، ترجمة: عادل زعيتر، دار التنوير، ط: الأولى، ٢٠١٤.
- سلسلة الأعلام من الفلاسفة " جون لوك"، للأستاذ الدكتور فاروق عبدالمعطي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
- شرح المقاصد، لسعد الدين التفتازاني، ت: ٧٩٣، تحقيق الدكتور/ عبدالرحمن عميرة، عالم الكتاب، بيروت لبنان، ط: الثانية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- الفلسفة الحديثة مذاهب وتيارات، د/ رياض شريم، وزارة الثقافة الأردنية، ط: الأولى، ٢٠٢١م.
- فولتير حياته– آثاره– فلسفته، لأندريه كريسون، ترجمة: الدكتور صباح محي الدين، منشورات عويدات بيروت– لبنان، ط: الثانية، ١٩٨٤م.
- في الفكر الغربي المعاصر، د/ حسن حنفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط: الرابعة، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
- في الفكر الغربي المعاصر، لحسن حنفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط: الرابعة، ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م.
- قاموس فولتير الفلسفي، ترجمة: يوسف نبيل، مراجعة، جلال الدين عزالدين علي، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٨م.
- قصة النزاع بين الدين والفلسفة، للدكتور توفيق الطويل، مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول، مكتبة الآداب بالجماميز – مصر، بدون.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ت: ٥٣٨هـ، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٠٧ هـ
- الله في الفلسفة الحديثة، تأليف: جيمس كولينز، ترجمة فؤاد كامل، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة نيويورك، ١٩٧٣م.

- مدخل إلى الميتافيزيقا، للأستاذ الدكتور/ إمام عبدالفتاح إمام، نهضة مصر، ط: الأولى ٢٠٠٥م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة ، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، ت: ٥١٠هـ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الأولى ، ١٤٢٠ هـ.
- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، للدكتور عبدالمنعم الحنفي، مكتبة مدبولي، ط: الثالثة،١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- معجم الفلاسفة، جورج طرابشي، دار الطليعة- بيروت ط: الثالثة، ٢٠٠٦م.
- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، للدكتور جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني و مكتبة المدرسة، بيروت- لبنان، ١٩٨٢م.
- المعجم الفلسفي، لمراد وهبه، دار قباء الحديثة، ط: الخامسة، ٢٠٠٧م.
- الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان رى _ وج.أو. أرمسون، ترجمة: فؤاد كامل وأخرون، مراجعة: الدكتور زكي نجيب محمود. دار القلم، بيروت- لبنان، بدون.
- موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، صـ ١٢٠٤-١٢٠٥، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط: الثانية، ٢٠٠١م.
- هداية المريد لجوهرة التوحيد، للشيخ إبراهيم اللقاني المالكي، ١٠٤١هـ، تحقيق: مروان حسين البجاوي، دار البصائر، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- وحملها الإنسان...، مقالات فلسفية، للدكتور/ أحمد محمود صبحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط: الأولي، ١٩٩٧م.

ثالثاً: الموسوعات والمجلات الإلكترونية.

- موسوعة سانت أندروز اللاهوتية (St Andrews Encyclopaedia of Theology): https://www.saet.ac.uk/Christianity/Providence

- مجلـــــــــــــــــــة التـــــــــــــــــــاريخ المســـيحي. https://christianhistoryinstitute.org/magazine/article/calvin-gallery-of-calvins-supporters-and-opponents .

- And man carried it..., philosophical articles, by Dr. Ahmed Mahmoud Sobhi, Dar Al Nahda Al Arabiya for Printing, Publishing and Distribution - Beirut, ١st ed., ١٩٩٧.

Third: Electronic encyclopedias.St.

- St Andrews Encyclopaedia of Theology: https://www.saet.ac.uk/Christianity/Providence
- Journal of Christian History https://christianhistoryinstitute.org/magazine/article/calvin-gallery-of-calvins-supporters-and-opponents

- Series of prominent philosophers “John Locke”, by Professor Dr. Farouk Abdel-Moati, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, ١st edition, ١٤١٣ AH - ١٩٩٣ AD.
- Explanation of the Objectives, by Saad al-Din al-Taftazani, d. ٧٩٣, edited by Dr. Abdul Rahman Amira, Alam al-Kitab, Beirut, Lebanon, ٢nd edition, ١٤١٩ AH - ١٩٩٨ AD.
- Modern Philosophy: Schools and Trends, p. ٣١, Dr. Riyad Shraim, Jordanian Ministry of Culture, ١st ed., ٢٠٢١.
- Voltaire: His Life, Works, and Philosophy, by André Cresson, translated by Dr. Sabah Muhyiddin, Awidat Publications, Beirut, Lebanon, ٢nd ed., ١٩٨٤.
- In Contemporary Western Thought, Dr. Hassan Hanafi, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, ٤th ed., ١٤١٠ AH - ١٩٩٠ AD.
- Voltaire's Philosophical Dictionary, translated by Youssef Nabil, reviewed by Jalal al-Din Ezz al-Din Ali, Hindawi Foundation, ٢٠١٨.
- The Story of Civilization, Will Durant, d. ١٩٨١ AD, Introduction: Dr. Mohi El-Din Saber, Translation: Dr. Zaki Najib Mahmoud and others, Dar Al-Jeel, Beirut - Lebanon, Arab League Educational, Cultural and Scientific Organization, Tunis, ١٤٠٨ AH - ١٩٨٨ AD.
- The Story of the Conflict between Religion and Philosophy, by Dr. Tawfiq Al-Tawil, Professor of Philosophy at the Faculty of Arts, Farouk I University, Al-Adab Library in Al-Gamiz - Egypt, without.
- The Holy Bible, Book of Psalms: (Psalm ١٤٥/٩-١٧).
- Al-Kashaf on the Mysteries of the Revelation, by Abu al-Qasim Mahmud ibn Amr ibn Ahmad, al-Zamakhshari Jar Allah, d. ٥٣٨ AH, Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, ٣rd edition, ١٤٠٧ AH.

• God in Modern Philosophy, by James Collins, translated by Fouad Kamel, Franklin Printing and Publishing Company, Cairo, New York, ١٩٧٣.

• Introduction to Metaphysics, by Professor Dr. Imam Abdel Fattah Imam, Nahdet Misr, ١st ed. ٢٠٠٥.

• Landmarks of Revelation in the Interpretation of the Qur'an, Reviver of the Sunnah, by Abu Muhammad al-Husayn ibn Mas`ud ibn Muhammad ibn al-Farra' al-Baghawi al-Shafi`i, d. ٥١٠ AH, edited by: Abd al-Razzaq al-Mahdi, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi – Beirut, first edition, ١٤٢٠ AH.

• The Comprehensive Dictionary of Philosophical Terms, by Dr. Abdel Moneim El-Hanafi, Madbouly Library, ٣rd ed., ١٤٢٠ AH – ٢٠٠٠ AD.

• The Philosophical Dictionary in Arabic, French, English and Latin Words, by Dr. Jamil Saliba, Dar Al-Kitab Al-Lubnani and Al-Madrasa Library, Beirut, Lebanon, ١٩٨٢.

• The Philosophical Dictionary, by Murad Wahba, Quba Modern House, ٥th ed., ٢٠٠٧.

• Keys to the Unseen = The Great Commentary, by Abu Abdullah Muhammad ibn Umar ibn al-Hasan ibn al-Husayn al-Taymi al-Razi, nicknamed Fakhr al-Din al-Razi, the preacher of Rayy, d. ٦٠٦ AH, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi – Beirut, ٣rd edition – ١٤٢٠ AH.

• he Concise Encyclopedia of Philosophy, Jonathan Ray and J.O. Armson, translated by Fouad Kamel and others, reviewed by Dr. Zaki Naguib Mahmoud. Dar Al-Qalam, Beirut-Lebanon, without.

• Lalande's Philosophical Encyclopedia, translated by Khalil Ahmad Khalil, Awidat Publications, Beirut-Paris, ٢nd ed., ٢٠٠١.

Sources and References

First: The Holy Qur'an

Second: General sources and references

- The History of Modern European Thought ١٦٠١-١٩٧٧ AD, by Ronald Stromberg, translated by Ahmed Al-Shaibani, Dar Al-Qari Al-Arabi - Egypt, ٣rd ed., ١٤١٥ AH - ١٩٩٤ AD.
- The Formation of the Modern Mind, John Herman Randall, translated by Dr. George Taama, reviewed by Professor Burhan Al-Din Al-Dajani, introduced by Dr. Muhammad Hussein Heikal, National Center for Translation, ٢٠١٣.
- John Locke, the Imam of Empirical Philosophy, by Dr. Rawya Abdel Moneim Abbas, Dar Al Nahda Al Arabiya for Printing and Publishing, Beirut, ١٩٩٦.
- John Locke, the Imam of Experimental Philosophy, by Dr. Rawya Abdel Moneim Abbas, p. ١٤٠, Dar Al Nahda Al Arabiya for Printing and Publishing, Beirut, ١٩٩٦.
- John Locke: A Very Short Introduction, by John Dunne, translated by Faika Girgis Hanna, reviewed by Heba Abdel Mawla, Hindawi Foundation, ١st ed. ٢٠١٦.
- Natural Religion, Jacqueline Lagraye, translated by Mansour Al-Qadi, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, ١st ed., ١٤١٣ AH - ١٩٩٣ AD.
- Religion and Politics in the Philosophy of Modernity, Dr. Ferial Hassan Khalifa, Arab Egypt for Publishing and Distribution, ٢٠٠٥.
- Voltaire's Letters, Introduction: John Ley, Translation: Adel Zaiter, Dar Al Tanweer, First Edition, ٢٠١٤.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث
المقدمة
التمهيد: مفهوم الدِّين الطبيعي
المبحث الأول: موقف جون لوك من الديانة الطبيعية
المطلب الأول: ترجمة جون لوك
المطلب الثاني: موقف جون لوك من الديانة الطبيعية
المبحث الثاني: موقف فولتير من الديانة الطبيعية
المطلب الأول: ترجمة فولتير
المطلب الثاني: موقف فولتير من الديانة الطبيعية
المبحث الثالث: نقد الديانة الطبيعية
الخاتمة
قائمة المصادر والمراجع